حَنِينُ الأَفْئِدَة

فهد بن يحيى العماري
القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العماري، فهد يحيى
حنين الأفئدة./ فهد يحيى العماري–
الرياض ١٤٣٨هـ
١٩٢ص ؛ ١٤×٢٠ سم.
ردمك: ٠ - ٤٦٢ - ٥٠٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- المسجد الحرام أ- العنوان
ديوي ٢١٥,١ ٨٠٦٧/ ١٤٣٨

رقم الإيداع: ٨٠٦٧/ ١٤٣٨
ردمك: ٠ - ٤٦٢ - ٥٠٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨

دار الحضارة للنشر والتوزيع
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ

تصميم الغطاء
0554267436

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد للهَّ فاطر الخلق وموجده، وناصر الحق ومنجده، الذي خلق الأمم، ورزق النعم.

الحمد للهَّ الذي لا يضارعه مليك، ولا ينازعه شريك. الحمد للهَّ ذي الكلمة البالغة، والنعمة السابغة؛ خلق الخلق بقدرته، وبسط الرزق بحكمته.

وصلى اللهَّ وسلم على مصباح الدجى، ومفتاح الهدى، وعلى آله الصفوة الصافية والقدوة الهادية، هداة الضالين وعداة المضلِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الحمدُ لله ربِّ العالمين على إنعامه

فهو ذو الإنعامِ والنِّعمِ

وبعدَ هذا فآلافُ الصلاةِ على محمَّد

سيِّدِ العربانِ والعجمِ

والآلِ والصحبِ ثم التابعينَ لهم

ما لاحَ برقٌ وسحَّت أعينُ الدِّيَمِ.

فإن من أعظم علامات اليُمْن، وأمارات الخير، وتباشير

النصر لهذه الأمة العظيمة العزيزة بدينها، حبها لبيت بارئها، ولهفها لحرم خالقها، وتقديسها لها.

وإن من أعجب ما يدهش ألباب العقلاء، ويأخذ بقلوب الأصفياء، ويحار في ذكره المفكرون والعظماء، ويقف عن ترجمته الخبراء والعلماء، ويعجز عن وصفه الفصحاء والبلغاء، وعن مثله الملوك والرؤساء، جذب النفوس لبيت اللهَّ الحرام!.

فمرحباً بوفد رب العالمين وضيوف البيت الحرام، فلهم منا أجمل وأسمى تحية وإكبار.

أهـلاً وسـهـلاً والـسـلامُ عليكم
وتـحـيـةٌ منـّـا تـــزفُّ إليكـم
أحـبـابَـنـا مـا أجـمـلَ الـدنـيـا بكم
لا تـقـبـحُ الـدُّنـــيـا وفـيـهـا أنتم

جموع ملبية، وأعين باكية، وعبرات ساكبه، وألسنة ذاكرة، وقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وأيد داعية، وجباه ساجدة، تفرح كل مؤمن.

بتلك النفوس المؤمنة الــزمان يزدهـــر، والأيــام تحتفــل، والأرض في طرب، والأرجاء تتقد.

هنيئاً لها من أعين وأنفس وأقدام تلذذت وأنست بالكعبة والبيت الحرام. هنيئاً لها من قلوب ونفوس جاورت البيت الحرام.

متدفقونُ كأنهم أنهارُ
أنى اتجهتَ جلالةٌ ووقار
لبيكَ فاحَ الكونُ من نفحاتها
وتَعطرتْ منها ربوعُ الوادي

أطفال أنقياء، وشباب أصفياء، ورجال أتقياء، ونساء خيرات.

استوقفتني تلك الوفود طويلاً، وتلك المناظر والجموع كثيراً..

مشاهدُ لو وعاها الحسُّ كانت
عبيرَ المسك أو ريحَ الخزامى

مشاهد تأخذ بمجامع القلوب والعقول، فما أعظمها وأروعها، وأبهاها، وأهنأها، وأسماها، وأسناها، وأجملها، وأحلاها..

هل رأيتَ لباساً قط أجل من لباس المعتمرين..؟

هل رأيتَ رؤوساً أعز من رؤوس المحلقين..؟

هل مر بك ركب أشرف من ركب الطائفين..؟

هل مر بك مشهد كمشهد ليلة سبع وعشرين..؟

لله درُّ ركـائـبٍ ســـارتْ بهـم
تطوي القفارَ الشاسعاتِ عن الدجـى
رحلوا إلى البيتِ الحرامِ وقد شَجَا
قلبُ المتيّـم منهمُ ما قـد شَـجَا
نَـزلـوا ببابٍ لا يخيـبُ نزيلُـه
وقـلـوبهُـم بين المـخافةِ والـرجـا

أجمل ترحيب

كتبت هذه الكلمات من جوار البلد الحرام، هدية حب، وزهرة ود، وثمرة علم، وقطرة معرفة، وكرم ضيافة، ووفاء لأم القرى، وترحيب بوفد الله، فحيا الله تلك الوفود وتلك الوجوه، ألف تحية وتحية، يعقبها ألف سلام وسلام.

أَزفُّ لـكَ الـتّـحـيـةَ والـسّـلامـا
مِـنَ الأعـمـاقِ حُـبّـًا واحـتـرامـا
تـحـيـةُ أُمـــةٍ وسَـــلامُ شَـعـبٍ
يـرى فيك الـكـريـمُ أَتـى الـكِـرامَـا

حياكم الله وأحياكم، وأطال على الطاعة أعماركم، وأحسن أعمالكم، ورضي عنكم وأرضاكم، وإلى كل خير هداكم، ومن كل الشرور وقاكم.

قدمتم إلى مكة خير مقدم، ووقيتم المأثم، والمغرم، والمندم، وبؤتم أحسن المنقلب.

إن مما يثلج الصدر، ويفرح القلب، ويشرح النفس، ويمتع الأرواح، ويؤنس الخاطر، ويطرب المشاعر، ويبعث الأمل

في الضمائر، ذلك الإقبال العالمي المتدفق على دين الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وعلى بيت الله الحرام، في مواسم متعددة، وأوقات كثيرة، حتى لا يكاد يخلو البيت من الزحام، بل لا تجد مكاناً تصلي فيه، وإن ذلك يدل على أن في الأمة أنفساً خيرة، وأرواحاً زكية، وقلوباً برّة ، نيرة، ورجعة صادقة، نقية.

حيّ الشبابَ شبابَ أُمتنا الذي
هجرَ الرعاعَ وسارَ للرحمنِ
متوجهًا للبيت يَبغي رحمةً
متوثبًا بالنور والإيمانِ
العين تَفرحُ حين تُبصرُ ما ترى
من عودةٍ وإنابةِ الشبانِ
علماءَنا ودعاتِنا بُشرى لكم
يَامن بَنيتم عالَي البُنيانِ
ولتَفرحي يا أُمتي فلقد بدا
فجرُ الهدايةِ واضحًا لعيانِ
والشيبُ قد خَفّوا على عجزٍ بِهم
للقاءِ خالقهم بغيرِ هَوانِ
قطعوا الفيافيَ والقفارَ لعلهم
يحظونَ بالرحماتِ والغفرانِ

وجبتْ ضيافتُهم على أهلِ التقى
والعلمُ خَيرُ قِرَى مَدى الأزمانِ
وموجهـًا من زارَ بيتَ الله في
أدبٍ لبعضِ مزالقِ الشيطانِ
ليُعظموا بيتَ الإلـه فإنّه
قد فازَ من قد عادَ بالرضوانِ
هذي سطورٌ قد كتبتُ حروفَها
بالحبّ والإشفاقِ للإخوانِ
سميتُها متيمنـًا بقبولها
بحنينِ أفئدةٍ إلى الرحمنِ
ما كان من جَهدي عَلى عِلاّته
بل كان توفيقـًا مِن المنانِ
والنصحُ منكم يا أحبةُ مَطلبي
ليزولَ ما في القولِ من نقصان
ولتَستروا خلاتِنا ولتَصفحوا
فالصفحُ منكم غايةُ الإحسان
والله أسألُ أن يُعممَ نفعها
وتصيرَ خيرَ الزادِ للركبان
ثم الصلاةُ على النبّي محمدٍ
ما طافَ معتمرٌ على الأركان

نـداءات

إلى العلماء والدعاة وطلبة العلم الأماجد.

إلى حراس الشريعة وحماة الدين والسنة والعقيدة.

إلى الذين أوقفوا أنفسهم وعقولهم وأوقاتهم وأقلامهم وأموالهم في سبيل الإسلام.

إلى شباب الأمة الغر، الأعزاء، وفتيات الطهر، والعفة، والنقاء.

إلى الذين يحرقون أنفسهم ليضيئوا الطريق للآخرين.

إلى الذين تعبوا ومرضوا وسهروا وبذلوا وآثروا وأرخصوا كل غال في سبيل أمة الإسلام.

إلى العاملين بالليل والنهار في خدمة الحجيج والعمار.

إلى الذين يحبون أن يعيشوا تحت الظل، والبعد عن حر الشمس.

إلى الذين يستهلكون، ولا ينتجون، ويأخذون، ولا يعطون.

إلى الفارغين، البطالين، والكسالى، الخاملين.

إلى الذين لاهم لهم إلا القيل والقال، والتجريح والتصنيف على غير هدى وتقى.

إلى الذين انشغلوا بالآخرين عن بناء أنفسهم وأمتهم.

إلى من عمي عن القذى في عينه وأبصره في أعين إخوانه.

إلى الذين أذهبوا أوقاتهم في العتاب والتلاوم والنقد والتنقيب والوقوف على ما بين الكلمات والأحاديث والأحرف والسطور على غير سنة وحكمة.

إلى الذين يعيشون فراغاً في حياتهم وفكرهم وقلبهم.

إلى الذين يعيشون بلا هدف في الحياة أو أهداف زائفة لا تنفع، لا في الحياة ولا بعد الممات.

إلى الذين آثروا السفر إلى البلد الحرام.

إلى الزائرين والزائرات والمعتمرين والمعتمرات الأكارم.

إلى الوافدين لبلد تحنّ قلوب الصالحين إليه وتعلق قلوب المحبين به.

إلى من حرم لذة الطواف في المسجد الحرام وانشغلوا عنه بالحرام.

إلى أهل الحرم الأوفياء ومن منّ الله عليهم بجواره وسكناه.

إلى رجال الحسبة الأماثل، والأعين الساهرة البواسل، والأيدي العاملة الجحافل، الذين منّ الله عليهم بخدمة البيت وضيوف الرحمن.

إلى أصحاب مؤسسات الطوافة.

إلى كل والٍ ومسؤول.

إلى كل مسلم على هذه البسيطة.

إضاءات وومضات، همسات وإشارات، آداب وأخلاق، ومشاهدات، تراجم وسير، أعلام ونساء وفتيان ورجال، سوانح فكر، وجمع من بطون الكتب، أحاديث وفضائل، نفثة مصدور، وشكوى حزين، ندبة ووخزة، تلميح وتصريح، شكر واعتذار، حداء ونداء، حنين وأنين، دعاء ووفاء، سلام وختام.

كلمات أخاطب بها الأمة جميعاً، لأن مسؤولية الإصلاح قاسم مشترك بين أفراد الأمة، كل حسب قدرته، ومسؤوليته، والبيت الحرام تقصده كل الأمة، فتعال وهلم متأملاً، متدبراً.

كلمات علّها تشحذ الهمم، وتثير العزائم، وتوقظ النائم، وتزيد الجاد المريد، وهي ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، وما يتذكر إلا من ينيب.

والله المستعان وعليه التكلان، ومن بغيره استعان لا يعان.

سائلاً الله أن يكون روضاً يُقرأ ويذاع، وسبباً في حضور القلب، وحسن الانتفاع، وتصنيفاً بديعاً ليس فيه ابتداع، ويديم النفع به حتى يأتي أمر الله الذي ليس له دفاع.

سائلاً الله أن تكون للأمة تذكرة، وللخاصة تبصرة، فتحي العليل وتشحذ الكليل.

وجُدْ بالرضا والعفو يا ربّ واهدني
لدينك واختمْ بالشهادة لي عُمري
وصلّ على المبعوث للخلق بالهدى
شفيعِ الورى في ساحةِ العرض والحشر
محمدٌ الداعي إلى الله ناهيًا
عن السوء والفحشاء في السر والجهر
وسلّم عليه ما تواترَ ذكرُه
مع الآل والأصحاب يا فالقَ الفجرِ (١)

(١) من ديوان العروسي، وسيجد القارئ كثيراً من الأبيات غير منسوبة، ولم تعز لضيق الوقت ولشهرة قائلها وغير ذلك.

غاية وأمل

معشر الأمة والأخوة والبنين:

إن سكنى البلد الأمين، وزيارة قبلة المسلمين، أمل كل مسلم، وغاية كل مؤمن، وسؤل كل لبيب وعاقل، غاية نبيلة، وهدف سام، ومقصد شريف، ومطلب أصيل.

ملتقى العلماء، والعباد، والزهاد، والمسلمين على مر التاريخ.

مجمع الأصدقاء، والغرباء، والأوفياء على مر الأزمان.

ترنو إليه الأبصار، وتمتد إليه الأعناق، تعلق به الخواطر، وتلهج به الأفكار.

لا تُنكروا شَوقي إلى أمّ القرى
وتَهتُّكي بين الورى من ذكرها
أبداً بقلبي لا تزالُ رُبوعُها
وبناظريّ مَصيفُها وربيعُها

إنها مكة، إنها أم القرى، البلد الأمين، ومهبط الوحي، بلد الأمن والأمان والإسلام والإيمان.

قال الله: ﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ (القصص: ٥٧) وقال الله على لسان أبي الأنبياء: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (البقرة: ١٢٦) وقال الله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران: ٦٧).

آمناً من تسلط الجبابرة.. آمناً من الكوارث.. آمناً من القحط والجدب.. آمناً من الخوف..

إنه حنين الأفئدة، وشوق القلوب، وشغف النفوس.

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟!

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟! وقد جعله الله هدى للعالمين، صلاحاً، وقبلة، ورحمة، وبياناً، ودلالة، وطهارة للنفوس.

إنه بلد يستمع إليه أكثر من مليار مسلم، إنه بلدٌ رسالته لكل العالم.. إنه بلد ينتسب ويحن إليه كل مسلم على وجه الأرض وبه يعتز ويفخر.

فكان له أثر لا يخطر على بال، ولا يدور في خيال، في جبال شاهقات، وجزر نائيات، وقفار وراء المحيطات.

إنه موطن هداية، وفلاح، ونجاح للعالمين، أجمعين، قال الله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(الشورى: ٧).وقال : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(آل عمران: ٩٦).

فهدايته للعالم لا يحدها جنس، ولا دولة، ولا زمان، ولا مكان، ولا نسب.

وقال ابن العربي: مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة[١].

(١) أحكام القرآن لابن العربي المالكي ١/ ٣٧١.

كيف لا يكون هدى؟! وكم من نفوس دخلته فآبت، وتابت، وأنابت، واستقامت.. وكم من قلوب دخلته فاطمأنت وسكنت؟!

كيف لا يكون هدى؟! ومنه انبثق فجر الإسلام، ونور الإيمان، فكان الهدى.. وعلى جبل حراء تنزلت آية إقرأ..

كيف لا يكون هدى؟! وصوت الأذان والقرآن منه يسري إلى القلوب بالهدى والتقى، وهو طريق هداية للجنة، والمنازل العلى.

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟! وهو بلد مبارك، لأن الطواف به مغفرة الذنوب، ولأن الصلاة فيه مضاعفة، ولأن الطاعات يزداد ثوابها فيه، ولأن به زمزم، لأن به الطهارة من الذنوب، لأن به إجابة الدعاء وتعجيل العقوبة لمن فيه عتا، لأنه به عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته.

كيف لا تشتاق إليه النفوس؟! وفيه آيات بينات، واضحات، على قدرة الله، ووجوده، وصدق نبوة حبيبه ﷺ ومنها: الكعبة، والحطيم، والمقام، وزمزم.

كيف لا تشتاق إليه النفوس؟! وهو بلد الله، وبلد رسول الله ﷺ، وصحبه الكرام، بلد التوحيد، بلد تضاعف فيه الحسنات، وتعظم

فيه السيئات، بلد يحرم فيه القتال، بلد لا يدخله الدجال، بلد يحرم صيده، وتنفيره، وقطع أشجاره، بلد لا يدخله مشرك، بلد العلم والعلماء، بلد القيم، والأخلاق، والحضارة، والثقافة.

بلد الطمأنينة، والراحة، والأنس، بلد التزود للدار الآخرة، بلد تهذب فيه النفوس، وتربّى القلوب.

إنه قلعة من قلاع الدين، وحصن من حصون الإسلام، تعتز به النفوس، ودونه دفاعاً تبذل الأرواح والأجساد.

إلى قبلةِ الروحِ روحي سَمتْ
وطَرفي إليها أطالَ النظرْ
أَحنُّ إليها وأَشتاقُها
وكمْ مِنْ فؤادٍ إليها انفطرْ
هناك الهُدى والمُنى والسَّنا
وطَيفٌ مِنَ الأَملِ المنتَظرْ
هناك بداياتُنا أُمّةٌ
تَسامتْ ومِيلادُ خيرِ البَشرْ

الاسم الخالد في القلوب

مكة ذلك الاسم الخالد في قلب كل مسلم ومؤمن.

كيف لا والقلوب والأبدان تتوجه إليه كل يوم مرات ومرات، ولو كانت تحت قاع البحار أو فوق السماء والمجرات، تتوجه إليه ولو كانت في أقصى كوكب أو على سطح القمر؟! بل حتى بعد الموت يوجه الإنسان في قبره إليها ولو دفن على كوكب زحل.

كيف لا تشتاق إليه النفوس؟! وقد جعله الله قياماً للناس ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا ﴾(المائدة: ٩٧) أي سبباً في صلاح دينهم، ودنياهم، وآخرتهم.

قال العيني: «إنها عمود العالم ،فما دامت موجودة فالدين قائم»[(١)].

قال البقاعي: «لأن بها عماد الدين والدنيا[(٢)]، بلد اختاره الله، واصطفاه، وأقسم به فقال: ﴿ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾» (التين: ٣).

---

(١) عمدة القارئ للعيني الحنفي ٩/ ٢٣١ ، ١٠/ ١٦٥.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦/ ٣٠٦

إن من أسراره وفضائله انجذاب الأفئدة، وهوي القلوب، وانعطافها، ومحبتها له، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد.

محاسنه هيولى كلِّ حُسنٍ
ومغناطيسُ أفئدةِ الرجالِ

إنه مثابة للناس، يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطراً، بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حباً واشتياقاً.

لا يرجعُ الطرفُ عنها حينَ ينظرُها
حتى يعودَ إليها الطرفُ مُشتاقا

وهذا كله سر إضافته إليه سبحانه بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ (الحج: ٢٦) وصدق الله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (القصص: ٦٨) [١].

بلد تحن إليه النفوس وتشتاق، ولو ترددت إليه كل عام استجابة لقول الله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٦).

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟! وقد ورد في الأثر: إن للكعبة

(١) زاد المعاد ١/ ١٢.

لساناً وشفتين، ولقد اشتكت إلى الله: يا رب قَلَّ عوادي، وقلّ زواري، فأوحى الله إني خالق بشراً، خشعاً، سجداً، يحنّون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها[1].

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟! وهو بلد سطع نوره، وأشرقت بهجته، ولمعت زهرته، وراقت نظارته، وتلألأت غرته، وتألق حسنه، بلد تطرب القلوب لذكره، وتبتهج لسماع ندائه، وأذانه، فكيف إذا رأته واستنشقت هواءه وعبيره؟! لا تدري حين رؤياه أتسبق الأقدام أم الأنفاس؟! أيظهر الفرح أم البكاء؟!

مكة بلد نعظمه ونحبه ونسعد بسكناه.. فما أعظمك من بلد، وما أحبك من بلد، وما أجملك من بلد؟!

فمن وهاده انبلج نور الإسلام، ومن جباله بعث سيد المرسلين ﷺ، وبانبثاق بعثته انفجر نور الحقّ مثل الصبح في ظلم الليالي، وانتشر الفجر، وعمّ الخير لهذه الأمة العظيمة.. حتى بذلوا الغالي والنفيس للبلوغ والوقوف على ثرى هذه الديار المقدّسة، فحق لهذا البيت أن تشد إليه الرحال، وتبذل فيه الأنفس والأموال.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٠٦٦) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٥٠٩٣).

تعظيمه من تعظيم الله، وحبه من حب الله، وتقديسه من تقديس شريعة الله، وتوقيره من توقير رسول الله ﷺ.

بلد أثار قرائح الشعراء، وهيّج نفوس المحبين، وحرك أقلام العلماء والمؤرخين، فألّفوا كتباً وصنفوا أسفاراً، تفننوا في أسمائها وأوصافها.

فما من شيء بالبلد الحرام والبيت العتيق صغيراً أو كبيراً إلا ألّفوا فيه كتباً، حتى إنهم قد كتبوا عن أعمدة الحرم، ومصابيحه، وأبوابه.

وألّـف أهـلُ العلمِ فيها نفائسًا
فيا فـوزَ مَـنْ أَصغى لها وتَعلّما

❊❊❊

يا مكةَ الخيرِ يا أرضَ المسرّاتِ
يا مشرقَ النـورِ يا مهدَ النبـوات
يـا درةً في جبينِ الـكـونِ ساطعةً
ويـا عـبـيـراً لأرواحٍ زكـــيات
وكيف لا ننتشي شوقًا إلـى بلدٍ
نهفو لـه كـلَّ يـومٍ خـمسَ مـرات

❊❊❊

ما جاءَ ذكرُ فجاجِ مكةَ عابراً
إلا بَكى قلبي وخارَ كَياني

❊ ❊ ❊

أرضٌ بها البيتُ المحرمُ قبلةٌ
للعالمينَ لها المساجدُ تعدلُ
حرمٌ حرامٌ أرضُها وصيودُها
والصيدُ في كلِّ البلادِ مُحلّلُ
وبمكةَ الحسناتِ ضُوعفَ أَجرُها
وإلى فضيلتِها البريةُ ترَحلُ
وبها المقامُ وحوضُ زمزمَ مشرَعاً
والحِجرُ والركنُ الذي لا يَرحلُ
وبها المشاعرُ والمناسكُ كُلّها
وبها المسي عنه الخَطايا تُغسل

يا زائر البيت الحرام

يا صاحب الجوار ويا زائر البيت الحرام: أما علمت أن أقواماً في بقاع شتى يجمعون الدرهم على الدرهم سنين عديدة، وأزمنة مديدة، يمتنعون عن لذيذ الطعام والشراب للمجيء بحج أو عمرة.

يرهقون أجسادهم، ويتعبون أقدامهم، ويقطعون المفاوز والقفار، ويتنقلون من قطار إلى قطار، ومن مطار إلى مطار، ومن بحار إلى بحار، كلما تذكروا المناهل العِذاب هان عليهم ما يلاقونه من التعب والعَذاب.

استحب جمع من العلماء سكنى البلد الحرام ومجاورته، تقول عائشة رضي الله عنها: (لولا الهجرة لسكنت مكة، ولم يطمئن قلبي قط ما أطمأن بمكة) ويقول أحمد بن حنبل رحمه الله: (ليت لي مجاورة بمكة) وقد نزل بها أربعة وخمسون صحابياً من أصحاب رسول الله ﷺ وجمع من التابعين وسلف الأمة[1].

(١) شفاء الغرام ١/ ٨٥.

هنا بمكةَ آيُ الله قد نَزلتْ
هنا تربّى رسولُ الله خيرُ نَبي
هنا الصحابةُ عاشوا يَصنعونَ لنَا
مجداً فريداً على الأيامِ لمْ يَشبِ

يا نازلينَ بأرضِ مكةَ والحرم
والطائفينَ بركنه والملتزمْ
هذي نصيحةُ مشفقٍ متوجّلٍ
أرعِ لها سَمعًا وبالنصح التزمْ
يا زائراً للبيتِ تلك وصيةٌ
اشددْ بها عضُداً وبالحقّ استقم
تلك الوصايا قد حواها دينُنا
لنُشيدَ رِفعتنَا ونَبني ما انهدمْ
قد حازَ هذا الدينُ كلَّ فضيلةٍ
شهدتْ له حتى الفرنجةُ والعجمْ
ثم الصلاةُ على الذي بسماحةٍ
ملك القلوبَ وقادها نحو القِممِ

بلد الرسول ﷺ

تذكرنا مكة بحال المصطفى وأصحابه أولي النهى، فتنسكب العبرات، وتنهمل الدمعات، وتشتاق النفوس لخير البشر، وأعظم جيل.

حب رسول الله ﷺ وتعظيمه وتوقيره من الإيمان، وتتقدم تلك المحبة على النفس والولد والوالد . فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**فو الذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[1].

وإن من الواجبات على الأمة وعلمائها وولاتها وحكامها الحفاظ على سنته ﷺ، ورعايتها، والدعوة إليها، والدفاع عنها، وتعلمها وتعليمها، ورعاية حرمة جنابه وتعظيم قدره، وتطبيق سنته في الحياة أجمعها، والحفاظ عليها من البدع والمحدثات، ورعاية أمره، وتعظيمه في الظاهر والباطن، والسر والعلن، والانقياد لشريعته، وتوطين القلب، وعقده على ذلك، وتربية الأجيال على كل ذلك، ودونك الحسن البصري، إمام التابعين،

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤) ومسلم (٤٤).

كان يبكي إذا حدّث بحديث الجذع الذي بكى لما فارقه النبي ﷺ. ويقول: ياعباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ ؛ شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه[١]. فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، كان **النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه** »[٢] وفي رواية «**لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة**»[٣].

لـم نـرض غـيـرَ الله مـعـبـوداً ولا
خُلقًا سـوى خُـلُـقِ النبّي محمدِ
فهو الـذي منحَ الـخِـلالَ جمالَها
ومـكـارمَ الأخـلاقِ جـاء متممَ
صـلّـى عـلـيـه الله جـل جـلالـهُ
والخَلْقُ قد صلّوا عليه وسلّموا

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٣٠٥.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٥٨٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٧٤).

الفجر الجديد

هنا بالبلد الحرام سيرة سيد البشر ﷺ، وصحبه، المليئة بالذكريات والسمو والمعالي والتضحيات، والتعاون للبحث عن الحق والهدى ونصرته.

من هنا كانت الصفحة الجديدة المشرقة في تاريخ الأمة ورعيلها الأول.

من هنا بدأ التغيير، وانطلق في نفوس الأمم والأفراد نحو الهداية والجد والنظام والعدل وتحريم الظلم والبغي والعدوان ونصرة المظلوم، وإعطاء الحقوق، والوفاء بالعهود، والحرية الشرعية التي أرادها الله قبل أن ينادي بها الشرق والغرب.

جاءت الشريعة رحمة وهدى ونوراً للعالمين، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة: ٢).

جاءت الشريعة لتقرر كل مبادئ الخير، والفلاح، والعدل، والإصلاح في جميع شؤون الحياة.

جاء محمد ﷺ ليسمو بالأمة، ويرقى بها نحو الأخلاق، والفضائل، والسمو والعلياء.

جاءت الشريعة لتهذيب النفوس، والطباع، وترويضها على فضائل الأخلاق، وجاءت بإقامة الحدود، والعقوبات، حفاظاً على الأخلاق، والمجتمعات، والعقول، والفطر، وكرامة الإنسان، وقيمه، من كل رذيل، ولن تنضبط حياة الأفراد والأمة إلا بذلك، ولن يقوم العدل إلا بذلك.

ومع هذا كله لماذا التخوف من الإسلام؟ وهل العالم والشعوب تحتاج غير الحفاظ على تلك المبادئ؟

في منهجِ الله عزٌّ
وفي سواهُ الهوانُ

***

الملكُ بالدِّينِ يَبقى
والدِّينُ بالملكِ يَقوى

لماذا جاء اليوم من ينادي بتعطيل حدود الله على أرض الله، ليطفئ نور الله، بحجج واهية، ساقطة، والله متم نوره، لماذا الحرب على الإسلام ومبادئه ؟

أطاعوا ذا الخداعِ وصَدّقوه
وكم نَصَحَ النّصيحُ، فكَذَّبوه
وبَدّلَ ظاهرَ الإسلامِ رَهطٌ
أرادوا الطَّعنَ فيهِ وشذّبُوه

قوة الإسلام وشموليته:

ياحماة الأخلاق: إن الإسلام قادر على حل كل معضلة، والتصدي لكل نازلة، وإيجاد البديل لكل رذيل، صالح لكل زمان ومكان، والبديل بالضوابط الشرعية حقيقة لا تأويل ولا مخادعة.

إن الإسلام بقوته استوعب كل القرون منذ بعثة محمد ﷺ إلى يومنا، وإلى يوم القيامة، ولا يجوز لأحد أن يقول غير ذلك، أفلا يسعنا ما وسع القرون السابقة من حسن الاتباع لا الابتداع.

ما أمةٌ غَفَلتْ عن نهجه ومَضتْ

إلا تَـهيـمُ بِـلا هَـدي ولا عِـلْـمِ

الاستفادة من الغرب :

إن الاستفادة من تجارب الغرب لا يعني الذوبان في الحضارة الغربية، وضياع الهوية الإسلامية، وارتكاب ما يخالف شريعة الله، بحجج واهية، وأقوال شاذة ساقطة، ليقوى جانب الذوبان، وضياع الهوية.

لـنـا صـاحـبٌ مُـولـعٌ بـالـخـلاف

كـثـيرُ الـخَـطـاءِ قَـلـيـلُ الـصـواب

ألــجُّ لـجـاجـًا مـن الـخـنـفـسـاءِ
وأَزهــى إذا مـا مَشى مِـنْ غُـراب

إن الجميع يتفق على مبدأ الإصلاح، والتجديد، والاستفادة من التطور، والعلم، في كل فن واتجاه، لكن الإشكال كيف يكون التجديد؟ وهل يتعارض مع النصوص الشرعية؟ والواقع؟ وقيم المجتمع المسلم؟ والحياة الاجتماعية؟

أي حقيقة علمية خالصة مجردة من الهوى اصطدمت بالدين والعقيدة؟! هذا هو التاريخ يشهد بقيام علماء في الطب والفلك والهندسة والطبيعة والكيمياء، نبغوا في ظل الإسلام، فلم يقم في نفوسهم الصراع بين العلم والعقيدة، ولا قام بينهم وبين السلطات الحاكمة ما يدعو إلى الحرق والتعذيب كما فعل حكام الغرب مع علماء الكنيسة لما صادموا العلم والتقنية .

فما الذي يدفع أولئك المثقفين الحائرين إلى فصل الدين عن العلم، وتجريح الدين، وتلمس العيوب فيه - دون وعي ولا دراسة، وبما يشبه صراخ المحمومين - إلا السمّ الاستعماري الذي تجرعوه وهم لا يشعرون؟

معشر المسلمين: والله لا يصنع هذا شخص في رأسه عقل ، ولا في نفسه ثقة بكيانه ، وهويته ودينه ووطنه ، إنها والله الهزيمة

الداخلية ، تتخذ صوراً شتى ، ومبررات شتى. ولكنها هزيمة لا يقدم عليها إلا الضعفاء الخائرون ، والجبناء المضطربون .

إن الإسلام هو من أهم وأعظم أسباب التقدم والرقي والتطور والإنجاز ، والأدلة في هذا متظافرة ، ومتوافرة ، وقاطعة ، ولو لا خشية الإطالة لذكرتها ..لكن قد يكون السبب نحن المسلمين بجميع أشكالنا وأطيافنا ..ولا ننسب ذلك لما يقال بالإسلاميين -إن صحت العبارة- لخلفيات وأسباب وخلافات فكرية أو شخصية ، فإن الموعد الله .

كن منهم على حذر

جند أقوام أقلامهم، وأموالهم، وعقولهم، ليحاربوا كل فضيلة، ويدعو لكل رذيلة، عبر كل وسيلة، على أرض الله، ليجتثوا الأمة من سماء الفضيلة إلى قاع الرذيلة.

زمـانٌ رأينـا فيـه كـلَّ العجائبِ
وأصبحتِ الأذنـابُ فوقَ الذوائبِ

***

عُميٌ بصائرُهم طُمسٌ مشاعرُهم
كـأنّـهـم في مَـراعـي وهمهم غَنمُ

إن في الأمة من ينخر في أخلاقها نخر السوس، ويدس السُّمّ في العسل المغشوش.

السّوسُ منّا فلا تطعن على أَحدٍ
منَ الخصومِ وعالجْ مصدرَ السّوسِ

يسقون الأمة السم، ويقسمون أنه ماء الحياة .

صارَ البُغاةُ بزاةً حائمينَ على الآفاقِ
في وقـتـنـا واسـتـنـوقَ الـجـمـلُ

جاءوا ليهدموا السدود، ويقتعلوا الحصون، التي بناها علماء الملة، وعظماء الأمة، منذ قرون، على نور، وبصيرة من الله، وأمر الله، وأمر رسوله ﷺ.

يكثرون النعيق، ويتابعون النهيق، في ضجيج، وعجيج، ويغسلون النجيع بالرجيع.

يا ويحَهم إنّ الهوى يَلهو بهم
والموتُ في كنفِ الهوى يتوعدُ

تنادوا على الأخلاق بالمعاول مصبحين، متعاضدين، تعاووا من كل حدب، وتهاووا من كل صبب.

إن من الخطأ والخيانة للأمة أن نبني سدوداً في النهار، ونثلمها بالليل، ثم نرجع أخرى نرقعها بالنهار، يخربون بيوتهم بأيديهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

كفٌّ تُشيدُ وألفُ كفٍّ تهدمُ
والقومُ في الحالينِ صُمٌّ أبكم
كم أُمةٍ لَعبتْ بها جُهّالُها
فَتنطّسَتْ مِنْ قَبلُ في تَعذيبِها
لاتُبالي لَعِبِ القومُ بها
أَمْ بها صَرْفُ الليالي لَعِبَا

إنهم يريدون من المسلمين أن يكونوا في صلاة وصيام وحج وزكاة فقط ، وليس للإسلام في لباسهم ومظهرهم وأخلاقهم وحياتهم ومالهم ونكاحهم وتعاملهم ارتباط ومعنى ..يريدون باختصار : عزل الإسلام عن الحياة ...حقيقة مذهبهم مالله لله ، وما لقيصر لقيصر .

إن المصيبة العظمى والطامة الكبرى أنه مازال بعض أبناء المسلمين يرفعون هذه الشعارات التي رفعت قبل عشرات السنين ،واغتر بها الكثير حتى كاد الإسلام يندثر من كثير من بلاد المسلمين، وهاهم اليوم يعودون مرة أخرى بنفس تلك الشعارات.

قال الله : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا وهتدين) .

أرى خللَ الرمادِ ومِيضِ جَمرٍ
ويوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ

لقد ظل العالم الإسلامي مصدر النور والخير والتقدم في العالم كله فترة طويلة لم يشعر خلالها أنه محتاج إلى التبذل الخُلقي والفوضى والإباحية، لكي يحصل على القوة المادية والتقدم العلمي والفكري! وإنما كان أهله مثلاً رفيعاً في كل ميدان حتى ضعف عن أخلاقه القياسية، واستعبدته الشهوات، فجرت عليه سنة الله.

لم يكتف الإسلام بأن يكون عقيدة روحية، أو محاولة للتهذيب الخلقي، أو دعوة للتجرد الفكري والتأمل في ملكوت الله، وإنما كان ديناً عملياً ينظر في شؤون الأرض، فلا تفوته كبيرة ولا صغيرة في علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية إلا اهتم بها ووضع لها تشريعاتها وتطبيقاتها، ولكن في صورة فريدة تربط بين الفرد والمجتمع، بين العقل والوجدان، بين العمل والعبادة، بين الأرض والسماء، وبين الدنيا والآخرة كلها في نظام رباني متكامل يحقق العدالة والسعادة والحرية الشرعية.

الرموز السامية والمزيفة

إن من أعظم الحلول لترقي الأمة في معارج الخير والرفعة والفضيلة، ومدارج العزم والثبات أن تربط بتاريخها عن طريق دراسة قدواتها، ومُثُلها العالية ، الجادة، الثابتة، المشرقة، الخالدة، لكي تسير بها في دروبها، وتلفظ القدوات المزيفة، والرموز الرخيصة، المضطربة الحائرة، التافهة، البائرة التي ضاقت بها ذرعاً، فهي تتلمس الخلاص في أنموذج يحتذى من خير جيل مضى، نحن أمة ذات تاريخ لكنها تجهل تاريخها.

الإنسان بطبعه يحاكي، ويقلد، ويتأثر، بما يسمع، ويقرأ، ويشاهد، فلابد من وضع نموذج أمثل يحاكيه هذا الإنسان، ويقلده، والقدوة المثلى، والأنموذج الأمثل، محمد ﷺ ومن سار على هداه، واقتفى أثره وخطاه.

فهلموا إلى ظلال السيرة النبوية، الندية: عبادة، وأخلاقاً، وعدلاً، وسلوكاً، دراسة، وتعليماً، وتطبيقاً.

صَـلّـوا عـلـى الـمـخـتـارِ أحـمـدَ
إنه أزكى الأنامِ وخيرُ من وطئَ الثّرى

القدوة في مجتمع الأسرة والعمل والتربية والأمة من أعظم أسباب البناء في النفوس، وفي المقابل من أعظم معاول الهدم، وقد قيل : «فعل رجل في ألف رجل أعظم من قول ألف رجل في رجل»، وكيف لا وقد كان أعظم قدوة للبشرية محمداً ﷺ، مؤثراً في النفوس ، ومحركاً للقلوب إلى علام الغيوب، انتشل الأمة من غياهب الجهل، والظلام، والوثنية، والظلم، والجور، والفوضى، وأوحال الانحراف، والضياع، واستباحة الدماء، واحتقار النسا.

فهل أدرك كل مسؤول، ومفكر، وإعلامي، وأب، وأم، وعالم، ومعلم، وداعية، ومسلم، أثر القدوات في النفوس؟ وقد كان يكفينا ذلك عن كثير من التوجيه والدروس.

الحاكم وولي الأمر وكل مسؤول في نظر شعبه ومجتمعه قدوة.

العالم، والقاضي في نظر الناس، والخصوم قدوة.

الداعية والمعلم في نظر الناس والطلاب قدوة.

الأب والأم في نظر أولادهم قدوة .

الزوج في نظر زوجته قدوة.

وقد قيل إن الشعوب على دين ملوكها، والزوجة على دين زوجها، والابن شبيه بأبيه، ومن يشابه أبه فما ظلم، وكل فتاة بأبيها معجبة، وفي الحديث: (**والمرء على دين خليله فلينظر**

أحدكم من يخالل)[1]. وأسعد الناس من سعدت به رعيته، وأشقى الناس من شقيت به رعيته.

لاترضَ مِنْ رجلٍ حَلاوةَ قولهِ
حتى يَزينَ مايَقولُ فِعالُ
فإذا وزنتِ فِعالهُ بمقالهِ
فَتوازَنا فإخاءُ ذاكَ جَمالُ

صنعت شبكات التواصل قدوات مزيفة، ضعيفة، فارغة، لا تحمل من مؤهلات القدوة شيئاً .

خرج أناس لا يعرف لهم نجاح في الواقع والممارسة، وإنما نجاحهم ومثاليتهم ربما لا يتجاوز في كتابة تغريدة وإرسال سناب.

إن ذلك المغرد ونحوه حينما يوصل فكرة للمشاهد من خلال تلك الشبكات لا يعني أن كل حياته هي تلك الفكرة من أعمال صالحة وأخلاقيات وسعادة .

أيها العلماء والحكماء والدعاة: إن مشاركتكم في تلك الشبكات مطلب مهم في نشر العلم، ومزاحمة لأهل الباطل والجهل و حدثاء السن، فالبدار .

---

(١) أخرجه أبوداود برقم (٤٨٣٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٤٥).

دعوة للتأمل

يذكرنا الطواف بالبيت بما قال ﷺ بأن حيال الكعبة من فوقها بيتاً في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا[١]، فتذكر عظمة الله، وقدرة الله.

يذكرنا الحجر الأسود الذي نزل من الجنة، بقوله ﷺ وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا بني آدم[٢] .

قال بعض أهل العلم: تأمل كيف أَثَرُ المعاصي على الجمادات فكيف أثرها على القلوب؟ نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرحمنا برحمته، وأن يزيل أثر الذنب من الوجه والقلب.

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ قال: **(إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق)** [٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٨٧٧) وصححه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٣٩٨) وصححه الألباني في التعليقات الحسان برقم (٣٧٠٣).

وقال ﷺ: «**إن مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطا**»[1].

فائدة: تسمية الحجر الأسود بـ«الأسعد» أو «المُحَيَّا» – من التحية – ؛ليس عليها دليل.

فائدة: طريقة الاستلام للحجرين الأسود واليماني: أن يمسح بيده على الركن.

مسألة: هل يستلم الركن اليماني من غير طواف؟

من خلال استقراء النصوص الشرعية وعمل الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكلام الفقهاء: أن ذٰلك يشرع في أثناء الطواف، وأما من غير طواف فلا يشرع.

مسألة: استلام الحجر الأسود هل هو سنة مستقلة أم تابعة للطواف؟

الأقرب أنه سنة مستقلة، وهو الذي يدل عليه ظاهر النصوص، ولعدم الدليل على التقييد بالطواف، واختاره الزركشي ونقله عن جمع من السلف، وورد ذٰلك عن ابن عمر وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، وطاووس وسعيد بن جبير[2].

تنبيه: حديث: «النظر إلى الكعبة عبادة» ضعيف.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٣٦٩٨) وصححه الألباني في التعليقات الحسان برقم (٣٦٩٠).

(٢) التحفة في أحكام العمرة والمسجد الحرام) للمؤلف .

حراسة القلب

القلب أعظم محرك، ومؤثر، وهو ملك الجوارح، إنه يتأثر سلباً وإيجاباً، وينعكس ذلك الأثر على سائر البدن، فإذا صلح صلح سائر الجسد، وإذا فسد فسد سائر الجسد.

الاعتناء بالقلب واجب، لأنه مناط صلاح الجسد، وعليه مداره، ومتى استقام القلب استقام الجسد، وبقدر صلاحه يكون صلاح الجوارح، فهل كنا قائمين على صلاح القلوب أحسن قيام؟ وهل كنا حراساً لقلوبنا كما نكون حراساً لأموالنا؟ هل نتفقد قلوبنا ونعتني بها كما نتفقد أجسادنا؟

وكان السلف يقولون: (إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ جوارحك).

وصلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية.

صلاحُ أمركَ بالأخلاقِ مرجعهُ
فقوّمِ النفسَ بالأخلاقِ تَستقمِ

إن من أعظم العبادة عبادة القلب، إنها العبادة المفقودة في

حياة كثير من الناس، والتي أصبحت في غربة من القلوب وبين الناس.

إن كثيراً من مشكلاتنا في أنفسنا، وذواتنا، وعلاقتنا، مع ربنا، وعلاقتنا مع الآخرين، كان من أسبابها ضعف عبادة القلب، وأعمال القلوب.

إنها قوارب النجاة، والثبات، ورقائق القلوب، إنها أساس الإحساس، والـدواء، والباعث، والموقظ لعبادة الجوارح، والمعظم لها، إنها تكبح جماح النفس وحظوظها وشهواتها، وتكون لجاماً، وحصناً من زيغ القلوب والألسن والأخلاق، والانتصار للنفس، بالحيل وباسم الدين صورة دون معنى، وسراب دون الحقيقة، والموعد الله، يوم تبلى السرائر وينكشف المخفي في الضمائر، مهما أُلبس الحق غير لبسته، وكل ما كان لغير الله يزول..

عبد الله: إن عبادة القلوب هي أساس البناء لذواتنا، ومن تحت أيدينا، فهلم، وهلم.

إن تربية النفس وتعاهدها والسمو بها علمياً وأخلاقياً، وإصلاحها ليس له حد عمري، أو درجة علمية، أو منصب وظيفي، أو يتوقف عند حد، وهذه من المشكلات عند كثير

من الناس أحياناً، يظن بعض الناس أنه عند وصول حد معين من العمر أو العلم أو المنصب فإن نفسه لا تحتاج إلى زاد إيماني وأخلاقي وعلمي، فأخلاقه لا تحتاج إلى تطوير، وأفعاله وأخلاقه لا يعتريها النقص والخلل والضعف، وأنه ليس معرضاً للمؤثرات والتغيرات، ثقة تامة، وهذا خلل كبير في المنهجية والتربية والتفكير، قد يؤدي إلى المخاطر والتغيرات، وهو لايشعر بسبب ما ألبس نفسه إياه من تلك الثقة وعدم المحاسبة.

إن القلوب والنفوس تصاب بأدواء مما تسمع وتشاهد وتخالط وتقترف من صخب الحياة ، فتحتاج إلى تصفية وتنقية وغسيل وعناية بصفة دائمة.

ورد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه**»[(١)] .

إن القلب هو موضع نظر الله ، لذا فإن الأعمال تتفاضل عند الله بتفاضل ما في قلوب العاملين من الإيمان والإخلاص والمحبة والخوف من الله قال : ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» [(٢)] .

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٣٠٤٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٥٦٤.

قال أحد السلف: إن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، وعبودية القلب هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، فإن من استعبد قلبه لغير الله، ضره ذلك، ولو كان في الظاهر ملك الناس .

إن القلب هو المحل الذي تعرض عليه الفتن، وبحسب قبوله لها تعظم ظلمته، حتى يصل إلى أن لا يقبل الحق، ولا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر، بل يتبع هواه بغير هدى من الله .

سياط القلوب

إن من أعظم ما يصفيها وينقيها ويزكيها الوعظ .

الوعظ دواء القلوب وشفاؤها .

الوعظ حادي القلوب في سيرها .

الوعظ كاسر النفوس وكبريائها .

الوعظ سياط النفوس ومهذب الأخلاق .

الوعظ لجام كابح للشهوات، وحظوظ النفس، وكف اللسان، وردع الظلم والبغي، وتأدية الحقوق والواجبات.

زهدت كثير من النفوس في الوعظ فكان ما كان، قست القلوب، وجفت العيون، وتغيرت النفوس والعقول إلا من رحم ربي .

أعظم الوعظ وعظ القرآن والسنة، وما صح من كلام السلف وأفعالهم، والحذر من نشر الأحاديث والقصص الموضوعة والمكذوبة عبر وسائل الاتصال والتواصل الحديثة .

الأسرة المسلمة

يذكرنا المقام بإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بالأسرة المسلمة التي تحمل هم خدمة دين الله ونشره والتمسك به، والتعاون على البر والتقوى، قال ﷺ : «**ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

إسماعيل عليه السلام نموذج عظيم للشباب في البر بوالده، وصورة مشرقة في تعظيم البيت، وقدوة مضيئة في خدمة الدين والوطن .

إن من أعظم وسائل التربية والثبات على دين الله والاعتزاز به غرس حب نشر الخير والبذل والعطاء في قلوب أولادنا وطلابنا وتعويدهم على المشاركة ، ووضع المحفزات على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٠٩) ومسلم برقم (١٨٢٩).

حديث خاص بالشباب

أيها القادة والعقلاء وأولو الألباب :

إن أمتنا أمة الشباب، والعناية بهم من الواجبات والمهمات .

أيها الشباب: إن الأمة تربط بكم معاقد عزها، ونصرها، فأنتم حماتها، وكماتها وجوهرها، ونفيسها، أنتم جمالها، وبهجتها، أنتم أملها، ورجاؤها، ومحط أنظارها، أنتم عدتها، وعتادها، وسيفها وسنانها، أنتم أعلامها، ورايتها، أنتم سماؤها، وعلياؤها، وأبطالها، وشجعانها، أنتم نورها، وضياؤها، أنتم حضارتها، وصدارتها، لذا كنتم اللقمة، والصيد، واللعبة المتنافس عليها من الأعداء، ولكن قد تغفل بعض الأمم عن حراستكم، أخلاقياً، وفكرياً، فكل يحمي أخلاقه الطاهرة، ومبادئه السامية، من تلك الهجمات الشرسة على الأخلاق والفضيلة، كونوا حماة، للقيم، والأخلاق من أنواع الفساد والإرهاب بجميع صوره وأشكاله.

أيها الجيل: ثبت عبر التاريخ ماضياً وحاضراً أن الشباب هم القادرون على التجديد، والتغيير، والوقوف أمام المبادئ الساقطة.

فأنتم القادرون على النهضة بالأمة واستعادة قوتها.

أنتم القادرون على إيقاف الزحف الغاشم على الأخلاق والفضيلة .

أنتم القادرون على تغيير كثير من العادات والتقاليد وتجاوزها والتي عطلت كثيراً من النجاحات.

أيها الجيل: وكل ذلك يحتاج إلى حكمة، وصبر، ورويّة، وعزيمة، وترك المخاوف المتوهمة، واستعانة بالله، وصدق مع الله، ولكم في شباب صحابة رسول الله ﷺ خير مثال يحتذى في حياته وبعد وفاته.

قال الله تعالى: ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)..

فتأمل هذه الأربع المقدمات وكيف تكون النتيجة؟.

التغيير يكون وفق ما أرد الله على منهج الله.. لا على ما تريده الأهواء والنفوس الضالة.

التغيير يكون وفق المصالح المتيقنة والغالبة لا على المصالح الوهمية والمفاسد المتيقنة.

التغيير يكون وفق المصالح المرتبطة بالمؤسسات والمجتمعات والأمة لا على المصالح الخاصة.

التغيير يكون وفق دراسات علمية واستراتيجيات فاحصة ومستقبلية.

التغيير يكون من حيث انتهى الناس لا من حيث بدأ الناس.

التغيير يكون طريقاً للخير لا مفتاحاً للشرور والفساد .

أيها الجيل الواعي:

أهـدي الـشبـابَ تـحيـةَ الإكـبـارِ

هـم كـنـزُنـا الـغـالـي وذخـرُ الـدارِ

مـا كـان أصـحـابُ الـنبيِّ محمدٍ

إلا شـبـابـًا شـامـخَ الأفـكـارِ

يذكر بعض الوعاظ أثراً «نُصرتُ بالشباب»[1] والأثر فيه نظر إلا أن معناه صحيح، فلقد كان أول من ناصر رسول الله ﷺ الشباب، وكان معهم كذلك بعض الغلمان الصغار.

وكان منهم العشرة المبشرون بالجنة، مثل: أبي بكر الصديق أسلم وكان عمره (٣٨) عاماً، وعلي بن أبي طالب وكان عمره (١٠) سنين، والزبير بن العوام وكان عمره(٨) سنوات، وعمر ابن الخطَّاب وكان عمره(٢٦) عاماً، وسعد بن أبي وقاص وكان

(١) لم أجده في كتب السنة والآثار والذي يظهر أنه من الموضوعات .

عمره (١٧) عاماً، وطلحة بن عبيد الله وعمره (١٧) عاماً.

إنها تربية القرآن والسنة، والجيل النبوي الفريد، إنه التوفيق من الله، إنه الوفاء لله ولهذا الدين، إنها الهمة العالية وتحمل المسؤولية، إنه اليقين بقيمة وحقيقة هذه الحياة، إنه اليقين بما عند الله، إنه صلاح القلوب.

أيها القادة: إنَّ الخيرية في الأمَّة معدنها الأساس في الشباب، والسمو في الأمَّة والإصلاح والبناء جله يتم بسواعد الشباب، وهممهم ونشاطهم ، وجدهم، واجتهادهم، إن السلف الصالح علماء وقادة أولوا الشباب أَوْلوا الشباب أهميَّة عظمى، فهذا الإمام محمد بن شهاب الزهري يقول: «لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم»[(١)].

الحذر كل الحذر من إحداث الجفوة والفجوة بين الشباب والكبار.

الحذر من وضع العقبات والاحتقار وحظوظ النفس بين الشباب والكبار.

إنهم أمل الغد وقادة المستقبل .

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٠٣٣١) وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٦٤).

إن الحداثةَ لا تُقصّرُ
بالفتى المرزوقِ ذِهنا
لكنْ تُذكّي عقلَه
فيفوقُ أكبرُ منه سِنّا

أيها الجيل الأبي: حدد الهدف وركز وانطلق في أي مشروع تخدم به دينك وأمتك، فالأمة اليوم أحوج ما تكون إليك، وأنت تشاهد وترى ما تعانيه، قف على ثغر من ثغور الإسلام، كل واحد منا يحدد مشروعه ولا يشتت جهده و عزماته .

أيها الجيل: شاور الكبار ، وأصحاب الخبرة والتخصص ،فعند الكبار ما ليس عند الصغار .

إِنَّ الأُمورَ إِذَا الأَحْدَاث دَبَّرَهَا
دُونَ الشُّيُوخ تَرَى في بَعْضِهَا خَلَلا
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُم في الأَمْرِ مَعْجَلَةٌ
وللشُّيُوخِ أَنَاةٌ تَدفَعُ الزَّلَلا

كم تعاني الأمة عبر التاريخ من أولئك المعجبين بآرائهم والمنفردين بأفكارهم؟!

التكامل والنجاح في قرارات الإنسان ومشاريعه بعد توفيق الله بقدر ما يجمع من العقول والخبرات، والعلم ليس منتهى كل شيء.

ذكريات خالدة

تذكرنا مكة بمسرى رسول ﷺ.. تلك المعجزة العظيمة الباهرة التي تجعل القلب يؤمن بربوبية الله ووحدانيته وعظمته وقدرته، قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١).

وفي كـــلِّ شـــيءٍ لـــه آيـــةٌ
تـــدلُّ عـــلـى أنّـــه واحـــدُ

يذكرنا طريق الطائف إلى مكة ذلك الطريق الوعر، الشائك، الشاق بحاله ﷺ ورجوعه وحيداً فريداً، حينما طرده منها أهلها، ورموه بالحجارة حتى تورمت قدماه، فيقول: لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً)[1].

كان ﷺ أعظم الناس عفواً وحلماً، فعفوه لا يجارى، وحلمه لا يبارى .

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

رحابةُ الصدرِ فيهِ غيرُ خافيةٍ
مِنْ أَجلِها عَظُمتْ فِيهمْ مكانته

إنه درس للعلماء والدعاة ومن أوذي في سبيل الله.

فلتأخذوا عبراً من المختار
في صبره دوماً على الأقدارِ
في أرضِ مكةَ قد تنكّر أهلُها
وأبوا قبولَ شريعةِ الغفّارِ
قد سارَ يحملُ جذوةً من ربّه
بحثًا عن الأعوانِ والأنصارِ
وبطائفٍ حطّ الرحالَ لعلّه
يَلقى مَلاذاً من أَذى الكفارِ
سَلخوهُ بالسبِّ العظيمِ شَناعةً
ورموهُ رميَ مُعاندٍ كَفّارِ
قدماهُ سالتْ بالدماءِ طهارةً
أزكى من الريحانِ والأزهارِ
يا ويلَهم من أُمةٍ رَمتِ الهُدى
بالسبِّ والأسحارِ والأشعارِ

قد أظلمتْ كلُّ البقاعِ تَجَهُما
وكأنها تدعو على الكفارِ
قد كانَ يملكُ أن يَبيدَ جُموعَهم
ويزيلَ شأفتَهم بشرِّ قرارِ
وتصبراً رفعَ اليدينِ إلى السما
ودعا بِخَلف طاهرِ الأسرارِ
وتنفسَ الكونُ الفسيحُ تَفاؤلاً
وسَرى بدعوتهِ مع الأسحارِ
هذي دروسُ محمدٍ لرجالهِ
هلّا تعلمتُم أُولي الأبصارِ

إن من أعظم الآيات تثبيتاً وتسلية لأهل الحق ودعاته في زمن الفتن والمتغيرات واليأس والإحباط قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران).

ياعقلاء الأمة: حينما نتطلع للمستقبل وتضيق بنا السبل بدلاً من أن نتخلى عن أهدافنا ومبادئنا لنجدد عزيمتنا، ولنتعاون سوياً في تجديد العزائم.

مصابيح الدجى

إن العلماء هم ورثة الأنبياء، هم شموع مضيئة وكواكب نيرة، وقناديل ساطعة، دعاة على أبواب الجنان ورضا الرحمن.

إن الشعوب لا يحركها ولا يصلحها إلا الإسلام، وإن الكلمة المؤثرة فيهم هي كلمة العالم الرباني، الثابت على دينه وقيمه ومبادئه، وفق ما أراد الله، وهذا ما أثبته التاريخ على مر العصور وفي كل عصر ومصر.

ما من أمة إلا وهي تفخر بعلمائها وعظمائها، فبهم تعتز، وتسمو، وإليهم تطمئن، وتهفو، ولن تفلح، وتسعد، وتثبت، وتطمئن، وتستقر بدونهم، ولانخلط بين تقديرهم واحترامهم، وبين التبعية العمياء التي بدون عقل وفطرة.

هم شعلةٌ في العلم هم عَلَمٌ لنا
في كُلِّ نازلةٍ نَهبّ ونَفزعُ

❊ ❊ ❊

إنما العالمُ في أمتهِ
قَبسٌ ينشرُ في الناسِ الضياءَ

❊ ❊ ❊

همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أَزَمتْ
والأُسدُ أُسدُ الشّرى والبأسُ محتدمُ

إن مهاجمة أي مذهب وفكر يحافظ على القيم والأخلاق والأصالة ومحاولة إسقاطه من خلال أخطاء أفراده وتعظيمها، وكل هزيمة وفاجعة وضعف ومصيبة تحل بالأمة تسند له، والسكوت عن حسناته وتاريخه المجيد، لهو من الظلم والإجحاف والجنون وعدم العقل.

إن من أعظم واجبات أصحاب الرأي والقرار في جميع المجتمعات الحفاظ على هوية المجتمعات، ولا يدعون لأحد كائناً من كان أن يلعب بالمبادئ والقيم، ويحاول المساس بحراسها، أو تهميش أهل العلم والفضل وبناة الأمم والأوطان وإسقاطهم، وهذا مجمع عليه بين الأمم والحضارات، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وعقلاء جميع الأمم تأمر بالعدل، ومكارم الأخلاق، وتنهى عن الظلم، والفواحش، ويعظمون أهل العلم، والدين منهم»[1].

قُـــمْ في الأمـــــورِ حَـــازمـــًا
كـــي لا تـــكـــون نـــادمـــًا

(١) الجواب الصحيح ٢ / ١٢.

عظماء الأمة

ياعظماء الأمة: التشاور التشاور في كل ما يحفظ للأمة قيمها ومبادئها وأمنها واستقرارها .

وحدوا الصف، واجمعوا الرأي، ولو كان مرجوحاً، فمرجوح خير من فرقة ، وخلاف، ومرجوح خير من راجح تترتب عليه مفسدة، وتفوت به مصلحة، وتقوم به إحدى ضروريات الدين الخمس[١]، ولاتنازعوا فتفشلوا، واتحدوا، فالمصباح مع المصباح أكثر إنارة للطريق، والمصباح الواحد قد تضعف إنارته في أي لحظة، ولو كان قوياً، الشأن والزمان لا يحتملان الفجوة ولا الجفوة.

لا نجعل النصيحة فضيحة، ولا النقد حسداً .

(١) وهي الدين والعقل والنفس والعرض والمال وهذه الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها .

هاجر المرأة العظيمة المباركة

تذكرنا الصفا والمروة وزمزم بهاجر التي ضربت أروع الأمثلة في التوكل على الله حينما قالت لزوجها: إذن لن يضيعنا الله [١].

درس في صدق التوكل على الله، والاعتماد عليه، وبذل الأسباب الشرعية والقدرية، لا التوكل والكسل، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

ومن توكَّل على اللهّ فإنه ينال من فضائله وثمراته بحسب تحقيقه له، ما لا يخطر له على بال، ولا يدور في خيال، ولا يحيط به مقال، والتوكل هو جماع الإيمان، من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

لاتدع قلبك يتعلّق بما عند الناس، وبما في أيديهم، فأنت كلّما خرجت من دائرة التعلّق بما عند الناس، وأقبلت على التعلّق بربّ الناس، زادَ اليقين والثقة في نفسك بربّك.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٤).

ارم بهمومك وأسرارك وما عندك بين يدي الله سُبحانهُ وتعالى، وأقبل عليه بالدعاء في جوف الليل وفي هجير النهار، وبكثرة ترددك على أبوابه وطرقك لها ستفتح لكَ أبواب الرحمة والقبول، وبإقبالك هذا على أبواب ربّ الأرض والسماء تكون واثقاً بأمره، مطمئناً لركونك، واتكالك عليه جلّ جلاله.

قال الحسن: إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته[1].

جعلت هاجر المرأة العظيمة عقدها مع الله عزوجل، ولم تجعل عقدها مع زوجها، ولو كان العقد بين الزوجين لربما تغير الجواب، لسان حالها ليست الحاجة إليك مادام العقد مع الله.

جعلت عقدها مع الله فلم تشترط شروطاً لعلمها أن الله لا يضيعها .

لم تسأل لماذا جئت بنا إلى مكة؟ ولم تحاسبه.

لسان حالها كما هي لغة التجار التوقيع على ورقة بيضاء، لعلمها ويقينها بالله ووعد الله، فمن كفله الله فلن يخسر أبداً.

---

(١) رواه الخلال في جزء الحث على التجارة برقم (١٢٣). جامع العلوم والحكم ٤٩.

العقد بين البشر ليس كالعقد مع الله.

دخلت في دائرة الابتلاء فما ضعفت ولا عجزت ولا تواكلت، بدأت رحلة الابتلاء مع الله ولله وفي الطريق الذي أراده الله من زوجها.

تركها إبراهيم عليه السلام بدون سكن ولا طعام في واد غير ذي زرع، لا أُنس ولا أَنيس، لأنه عقد عقداً مع الله، ومن توكل على الله كفاه.

أيها المؤمن: تعال وانظر واستمع بقلبك وقالبك كيف شكر الله لهذه المرأة عقدها وصبرها وتوكلها عليه ومن أجل نبيه عليه السلام:

جعلها الله امرأة مباركة، جعل الله السعي عبادة من العبادات اقتداء بها، وأمر به رسول الله ﷺ، جعل الله ببركتها وبسببها زمزم المعجزة الخالدة، خلّد الله ذكرها، وبالإحسان إليها، وبركتها على أمة محمد ﷺ، وبركتها بقيام هذا البلد المبارك مكة، وبجعل أفئدة الناس تهوي إليه، وبرزق أهلها من الثمرات.

أيها المسلم المعتز بدينه: انظر كيف مجد الله هذه المرأة الأَمة، وجعلها بركة على العالمين؟!

قال الله، ومن أصدق من الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الفتح: ١٠).

وفّت مع الله فوفى الله معها، أحسنت فأحسن الله إليها .

أين المتشدقون العابثون الكاذبون على الله ودينه بأنه حقّر المرأة، وظلمها ، وأقصاها، ولم يجعل لها وزناً وإنما من سقط الحياة والمتاع؟!! أين أنصار، ودعاة، حرية المرأة؟ أين المتسمّون بالمنقذين للمرأة؟

أيتها المسلمة الحرة الأبية :

كوني حرة بالإسلام والحجاب والعفاف والفضيلة .

كوني حرة، صامدة أمام الفتن والشهوات والمغريات والدعوات الباطلات، دعوات زائفة، قذرة لكي تكون سلعة للمتاجرة، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلي نحوهم ميلاً عظيماً بحجج باطلة.

بعزيزِ إيماني أصونُ حجابي
وأصونُ عرضي في حِمى جلبابي
كذبَ الذين يتاجرون بقصّتي
كذبوا وكانوا مثل زيفِ سرابِ

لا لـن أكـونَ كما أرادوا سلعةً
ضاعت بسوق نخاسةٍ و بغابِ
ثـار الـبـغـاةُ وكـشّـروا أنيابهم
وغـداً نـحـطّـمُ صـورةَ الأنـيـابِ
فمعي النساءُ السائراتُ على الهدى
ومعي الـحـيـاءُ وفطرتي وكتابي
سـأظـلُّ أرقـى لـلـسـماوات العُلا
وأظـلُّ أحـيـا فـي هـدى المحرابِ

التفاؤل

تذكرنا الهجرة بتحالف قوى الشر على محمد ﷺ، فيقول لأبي بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما[1]. ثقة بالله، وإن تحالفت قوى الكفر والشر.

التفاؤل في أشد حالات الظلم والضعف، الآلام محاضن الآمال، التفاؤل حسن ظن بالله، وهو من التوحيد.

وأقوى وأصدق ما يكون التفاؤل حين يمتزج في القلب بقوة الإيمان، وصدق التوكل، والعمل الصالح، والدعاء، وبذل السبب.

* التفاؤل سبب في حصول الخير، فالمتفائل بالخير سيحصد الخير في نهاية الطريق.
* التفاؤل يدفع بالإنسان نحو العطاء والتقدّم والعمل والنجاح.
* التفاؤل يدفع الإنسان لتجاوز المحن.
* التفاؤل يورث طمأنينة النفس وراحة القلب.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١).

* التفاؤل تدريب للنفس على الثقة بالله والرضا بقضائه.

* التفاؤل يعوِّد المؤمن على النظرة الإيجابية لكل محنة.

* التفاؤل دليل على التوكل على الله عز وجل.

* المتفائل لا يبني من المصيبة سجناً يحبس فيه نفسه، لكنه يتطلع للفرج الذي يعقب كل ضيق.

* المتفائل أسعد الناس؛ فهو يرى الحياة جميلة، بخلاف المتشائم الذي لا يرى شيئاً في الحياة جميلاً.

* المتفائلون هم أفضل الناس صحة، لأن الشعور بالسعادة والتفاؤل يخلف آثاراً إيجابية على صحة الإنسان.

* إن الإنسان يصبح عجوزاً حين تحل الأعذار والهموم محل الأمل.

* الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء.

* الأمل يخفف الدمعة التي يسقطها الحزن.

* لا بد أن يشرق الضوء في آخر النفق.

* بعد العاصفة يأتي المطر، وبعد الغيوم تشرق الشمس.

* هناك أوقات نشعر فيها أنها النهاية، ثم نكتشف أنها البداية، وهناك أبواب نشعر بأنها مغلقة، ثم نكتشف أنها المدخل الحقيقي.

اذهبوا فأنتم الطلقاء

يذكرنا فتح مكة بالنصر المبين، ويذكرنا حينما دخلها المصطفى ﷺ عزيزاً بعد أن رماه أهلها بالسحر والجنون، وأخذوا حقه، وسلبوه وطردوه، لا بل حاولوا قتله، وسفك دمه، وحين الفتح قال: ما تظنون أني فاعل بكم قال: أخ كريم ابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[1].

عفو في عزة، ورحمة في قوة.

يا ربِّ صلّ على النّبي وآلِهِ
ما فاضَ نَبعٌ بالجداولِ أو جَرى
يارب صلّ على النبّي محمدِ
ما شُجّ جَرحٌ في سبيلكَ وانبَرى
صَلّوا على المختارِ أحمدَ إنه
أزكى الأنامِ وخيرُ من وطئَ الثّرى

إنه نبي الرحمة، وكان بالمؤمنين رحيماً، إنه دين الرحمة والسماحة، ومن الإرهاب الظالم والعنف الغادر براء.

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى برقم (١٨٢٧٥) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١١٦٣).

هل الدول والمجتمعات والقوانين والأديان والطوائف تحاكم وترمى وتتهم بالقصور والعيب والخطأ إذا صدرت أخطاء ممن ينتسبون إليها؟ وحينما لا يمتثلون بالتعاليم والقيم؟

إن العقلاء يجمعون على هذه النظرية ولا يختلف فيها عقلان حينما يتجردان من الكبر والهوى.

إنه في كثير من الطوائف والأديان من يخرج منتمياً إليها، محرّفاً نصوصها، حاملاً الغلو والتطرف في أقواله وأفعاله وعدائه.

إن في فتح مكة درس للمتهاجرين، المتقاطعين، فلننطلق من جوار الكعبة متصافحين، متعافين، معلنين، العفو وسلامة الصدر والسلام والوئام والوفاق.. العفو بجميع صوره وأشكاله، قال الله: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(البقرة:٢٣٧)، ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(الشورى:٤٠)، ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(التغابن:١٤)، ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٣٤).

فهل تجاوزنا مرحلة العفو إلى الإحسان إلى من أساء إلينا؟!

إننا والله لأحوج إلى هذه الشمائل والخلال اليوم من الظمآن للماء، ومن الجوعان للطعام.

فاذكروا يا قومِ مِنْ أمجادكم ما
نسيتم رُبّ ذِكـــرٍ نَـفَـعـا

أي دلائل أعظم من هذه على سماحة الإسلام ورحمة الرسول المهداةﷺ ؟!.

إنه درس للذين ينتقمون من الآخرين حين الخلافات والعدوات، يستغلون قوتهم وضعف الآخرين، لم يكن عظيم الأمة والأخلاق يوماً منتقماً لنفسه قط ﷺ .

لم يقمﷺ بتصفية الحسابات مع أعدائه وخصومه ومن آذاه حينما قوي .

يـا خـاتـمَ الـرسـلِ الـكـرامِ محمدِ
بالوحي والـقـرآنِ كُـنـتَ مُطَهَّرا
لـكَ يـارسـولَ الله صـدقُ محبةٍ
وبفيضِها شَـهِـدَ الـلسـانُ وعَـبّـرا

عواصف الانتقام

تعال وتأمل كلام إمام من أئمة الهدى، يقول شيخ الإسلام يصف حالة كل من أراد الانتقام: من طلب الانتقام لنفسه: ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا أعظم من المصيبة التي نالته من جهتهم)[1].

إن خسائرنا أضعاف أرباحنا من كثير من المعارك والصراعات.

إنه من المؤسف أن كثيراً من التوافه تعصف برشد الألوف المؤلفة من الناس، وتقوض مجتمعاتهم وبيوتهم، وتهدم صداقاتهم، وتورث العداوة، وتذرهم في هذه الدنيا حيارى.

وأجمل نفس وأسمى روح حينما تتمثل قول الله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(الأعراف: ١٩٩).

إن ذلك يحتاج إلى صبر، ومجاهدة، وعقل، وحكمة، واستشارة، ومعاضدة ممن حوله.

إلى ديانِ يومِ الدينِ نَمضي
وعند الله تجتمعُ الخصومُ

(١) جامع المسائل ١/ ١٧٠.

انظر إلى حال كثير من الأزواج والأصدقاء والجيران والشركاء والمؤسسات والطوائف والأحزاب والدول حينما تحصل الخلافات بينهم كيف يكون الانتقام، والعداء، واستخدام جميع الوسائل المفضية إلى الضرر بالآخرين، وإسقاطهم بأبشع وأفضع الجرائم القولية والفعلية ؟! وقد زاد الأمر واستفحل في عصر شبكات التواصل.

نعم هكذا يفعل ذلك الإنسان الباغي حينما يُفتقد الخوف من الله، وتُفتقد الأخلاق والقيم والإنسانية.

ما أحوجنا إلى العدل والإنصاف مع خصومنا وأعدائنا، وفي الشريعة أعظم برهان ومثال على ذلك.

إن من عواصف الانتقام الطعن في الظهور، وهو من أفسد الأخلاق والقلوب،وأبعد من شيم الرجال والمروءات .

فما كان صدري للضغينةِ موطنًا

وما كانَ رأسي مَعملاً للدسائسِ

إن انشغال بعض أفراد الأمة بعضهم ببعض، على غير منهج شرعي و بردود ومناقشات لا طائل من ورائها ويسعها الخلاف أدى إلى انقسام كل صف من صفوف المسلمين، وتخلل العدو إليها، وما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

قُلنا ولَمْ نقل أمامَ عدونا
وعلى أحبّتنا نقولُ ونفعلُ

إننا بحاجة إلى التعاون، نريد أن نكون يداً واحدة،وأصابع في كف، ودماً في جسد، وعينين في رأس، ولا خير في اليد اليمنى بغير يسار.

روعة الإسلام في البلد الحرام

هنا بالبلد الحرام تظهر المبادرات والمسارعة إلى الخيرات والكرم والإيثار في جميع المجالات.

فـالـيـومُ يـومُـك لـلـسـبـاق

والـيـومُ يـومُـك يـا جـوادُ

هنا تظهر الرابطة الإسلامية، والإيمانية، والإنسانية، وتدفن الأنانية، والعصبية، والنعرات الجاهلية، هنا الأقرب لله أكثرهم تقوى، لا مالاً ولا نسبًا، هنا تظهر صورة الإسلام، بجماله، وروعته، وعظمته، وسموه.

هُنا الأماني هُنا الأمجادُ قد رُفعت

هُنا المعالي هنا القُربى هنا الرحِمُ

هُنا القلوبُ استفاقت من معاقلها

هُنا النفوسُ أتت للحقّ تَزدحمُ

هُنا رواءٌ هُنا فجرٌ هُنا أملٌ

هُنا كتابٌ هنا لوحٌ هنا قلمُ

لنرتق

تعلمنا المناسك أن الطواف والسعي بالبيت ورمي الجمار والحلق والتقصير أن الناس متساوون في أمر الدين، وكلهم عبيد لله، والتفاضل بالتقوى لا الأحساب، ولا الأموال ولا الأنساب، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالإيمان والتقوى، قال الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات: ١٣).

لعمركَ ما الإنسانُ إلا بدينه
فلا تترك التقوى اتكالاً على النسبْ
فقد رفعَ الاسلامُ سلمانَ فارسٍ
وقد وضعَ الشِّركُ الشريفَ أَبَا لهبْ

ليس من الأخلاق ما نشاهده من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والسخرية والاستهزاء، بالعادات، والتقاليد، واللهجات، والألوان، والصور، قال ﷺ: (**دعوها فإنها منتنة**)[1] والأمر يقتضي الوجوب والمخالفة تقتضي التحريم.

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤).

كيف التفاخر والسخرية ؟! والبداية واحدة، والنهاية واحدة، من تراب ثم إلى تراب ثم الموعد الله فلا تنفع الأنساب، وإنما الأعمال بعد رحمة الله، **(قالوا ولا أنت يارسول الله. قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة)**[1] وهو النبي الرسول ﷺ وصاحب النسب الشريف.

إنك لتعجب من بعض الناس حينما تكون هذه القضية مسيطرة على حياته، وفيصلاً في تعاملاته، وحديث مجالسه، وميزان التقييم للآخرين، وإذا به ليس عنده شيء يفخر به، أو يغطي به عيوبه، إلا أنه يفخر بذلك ويتباهى، وينتقص الآخرين.

أين أولئك القوم من قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾(الحجرات: ١١)!؟وإن كان على وجه الفكاهة والمزاح فلا يجوز. واعلم أن لكل قوم حضارة تعتريها المحاسن والمساوئ، وفي كل قوم بني سعد، ولكل قوم رجال.

وقد قيل: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قلّ عقله ضل أصله، وقيل: حسن الأدب يستر قبح النسب، وهو وسيلة إلى كل فضيلة،

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

وقيل: المرء بفضيلته لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله، وبآدابه لا بثيابه.

ليس من الأخلاق أن يتعالى الإنسان على أخوانه والآخرين بنسبه ومنصبه وجاهه وماله.

وإذا تناسبتِ الرجالُ فما أَرى
نَسبًا يكون كصالحِ الأخلاقِ

* * * *

وإن بُليتَ بشخصٍ لا خلاقَ له
فكنْ كأنّكَ لم تَسمعْ ولم يَقلِ

مهمة الأجيال

دعونا نحيي النخوة فيما بيننا، دعونا نغدو أرقى مما تعودنا عليه، دعونا نثبت أن في جيلنا خير وأخلاق وفضائل وسمو.

لننفض الغبار عن الخير في مجتمعنا، وننزع عنه هذه الصفة المقيتة التي لازمته دهوراً.

قليل من العزيمة يكفي لهدم كثير من المستعمرات في قلوبنا، وإزالة كثير من المشاريع التدميرية لأمتنا.

إن مهمة الأجيال الحاضرة الواعية تنقية الأمة من تلك الشوائب والرقي والسمو بها.

لن نترقى مادام هناك أقوام يجعلون الأنساب والتعصب المنطقي والفكري منهجاً للتقييم، والاستحقاق، والنجاح، والارتقاء في الدرجات، والحكم على الأشخاص: بالثقة، والأمانة، والعدالة، والتزكية، والديانة، وماعداهم نكرات، جهال، مستحقرون، لا يستحقون، وليسوا أهلاً لتلك النجاحات والدرجات.

لن نرقى وننجح حتى يكون التقييم خاضعاً لمعايير النجاح

في كل شيء بما يناسبه من الأمانة، والخبرة، والكفاءة، والجودة .

نريدها واقعاً عملياً في حياتنا ومجالسنا العامة والخاصة، في السر والنجوى والعلانية، لا مجرد كتاب وتغريدة وموعظة.

هـذه مَـبـادئُـنـا الـتـي نَـسـعـى لها
في حـالـةِ الإسـرارِ والإعـلانِ
الله غايتُنا وهَـلْ من غايةٍ أَسمى
وأَغـلـى مـن رضـا الـرحـمـنِ

أيها الجيل الأبي :

لنكن صرحاء ففي الصراحة تكمن الراحة كما يقال ، وإننا بحاجة ماسة وملحة إلى الصدق والحزم والعزم في حل مشكلاتنا ، والوصول إلى ساحل النجاة ،وبر الأمان، والرقي بأمتنا نحو خيري الدنيا والآخرة .

يا بني قَـومـي أَمَا آنَ أن نَـرقـى أَمَا
فابـعـثـوها يقظـةً تقلبُ الأرضَ سَـما

جاء في غذاء الألباب للسفاريني : بأنه دار بين الشيخ المكي عبدالله العمري والخليفة العباسي هارون الرشيد حوار ما مضمونه: أن الخليفة كان يسعى بالبيت فتعلق الشيخ بدابته

وقال ياهارون فقال الخليفة: لبيك ياعم، فقال الشيخ المكي: ارق إلى الصفـــا، فلما رقى الخليفـة للصفا قال له الشيخ: ارم بطرفـــك إلى البيت، قال الخليفة: قد فعلت، فقال له الشيخ كم هم؟ قال: ومن يحصيهم، قال الشيخ: فكم في الناس مثلهم؟ قال خلق لا يحصيهم إلا الله.

عند ذلك قال له الشيخ: أنت تعلم أن كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه وأما أنت وحدك فتسأل عنهم أجمعين.

فما كان من هارون الرشيد إلا أن بكى بكاءً شديداً مما يراه من كثرة الناس بالمطاف وكان الوقت وقت حج ، فأثرت هذه الكلمات في نفسه أبلغ تأثير.. ثم قال له وأخرى أقولها لك: إن الرجل إذا أساء التصرف بماله يحجر عليه، فكيف أنت تسرف في أموال المسلمين ، وتسيء التصرف فيها ، وأنت محاسب عليها بين يدي الله جل وعلا.

فازداد بكاؤه حتى كاد يسقط أرضاً من شدة البكاء.

النظـام

تعلمنا مناسك الحج والعمرة الدقة والتنظيم والترتيب والانضباط، فليس لأحد أن يفعل ما يشاء، أو يقدم، أو يؤخر، أو يزيد، أو ينقص ، كيفما شاء، وهذا يشعرنا بأن الإنسان عنده القدرة على ذلك، وفي ذلك رد على الذين يظنون أن الإسلام دين فوضى لا تنظيم.

أعمال المناسك نظام وبرنامج متكامل بالأيام والليالي والساعات والأعداد والأعمال.

وقد رتب الشارع الحكيم عقوبات وكفارات لمن يخالف هذا التنظيم العظيم، وراعى في التنظيم والكفارات أصحاب الأعذار في مواضع، ولم يراعهم في مواضع أخرى فكان لزاماً الإتيان بتلك الأعمال، حكمة بالغة لمن تأمل وتدبر.

هل في بيتنا نظام؟

إن كثيراً من الناس أفراداً وجماعات وأسراً وبيوتات تعيش فوضى في نظامها التربوي والتعليمي والصحي والمالي والغذائي والاجتماعي والترفيهي لذا كانت النتيجة فشلاً أو ضعفاً في كثير من الأسر سواء في جميع مسارات حياتها أم بعضها، ومشكلات لا تنتهي وإخفاقات لاحد لها.

❋ نجاح الأفراد والأمم وسموها بدايته من البيت .

❋ نجاح الأسرة بقدر ما عندها من جودة في التنظيم ووسائل متطورة ومبدعة في تطبيقها وعدالة في تنفيذها .

❋ النجاح بدايته خطوة ، والسيل بدايته قطرات ، والألف ميل بدايته خطوة .

❋ إن الدعوة للتنظيم داخل البيوت لا يعني أن ذلك كالعيش داخل نظام مؤسسي أو حكومي.

❋ النظام لا يعني عدم المرونة في بعض القضايا ، فالأهم أن تتربى الأسرة على نظام وتحمل فكرة التنظيم .

❋ كثير من المجتمعات والأسر تعاني وتتألم من فوضى

ومشكلات وليس عند الوالدين التفكير والاستعداد لقراءة كتاب أو مقال في تنظيم بيته وأسرته .

* إن الأولاد هم جزء وهم نسخ مما يشاهدونه من تصرفات الأب والأم في جميع شؤون حياتهم .

* كيف نرقى وكثير من أفراد الأمة لا ينضبطون في أوقاتهم ومهامهم وإنما يعبثون ولا يبالون؟

* إن الدقة في المواعيد هي ميزة الذين يعملون كثيراً، أما العاطلون فهم يمنحون أنفسهم تبذير أوقات الآخرين. فمتى نصل لاحترام أوقات الآخرين وعدم الاعتداء عليها بتضييع أو تأخير!؟

أنشد الشافعي رحمه الله قائلاً :

إذا هجعَ الـنّـوامُ أسبلتُ عَبرتي

وأنشدتُ بيتـًا وهو من ألطفِ الشعرِ

أليـسَ مـن الـخـسـرانِ أنّ لياليـًا

تمرُّ بلا نفعٍ وتُحسَبُ من عُمري

أثر المناسك في حياتنا

❋ تعلمنا المناسك الصبر بأنواعه وكثير من الأخلاق الزاكية، والآداب السامية، الأخوة الإيمانية، الإيثار الصادق، التراحم والتعاون، التواضع ولين الجانب، الرفق والحلم.

ما أحوجنا إلى كل ذلك مع زوجاتنا وأولادنا ، وجيراننا ، وأصدقائنا بل مع مخالفينا.

❋ تعلمنا المناسك أن الإنسان عنده القدرة على الابتعاد عن كثير من المعاصي والذنوب: كالغيبة وشرب الدخان، وسماع الأغاني، وحلق اللحية، والنظر للقنوات، وترك مجالس السوء، وغيرها، فيتركها كثير من الحجاج فترة الحج.

❋ تعلمنا المناسك أن النفوس قابلة للهداية والاستقامة والاستقامة وترويضها على عمل العبادة، والطاعة: من كثرة ذكر الله، وصلاة، وطواف، والمحافظة على الصلوات، والتبكير إليها، والجلوس إلى الإشراق.

❋ تعلمنا المناسك أن العبادات تحتاج إلى مجاهدة نفس، قال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(العنكبوت: ٦٩).

يقول أحد العلماء: ولقد وقفت وتأملت طويلاً، ما هو السر وراء تحمل الحاج والمعتمر أنواع المشاق في الحج والعمرة، مع ما يواجهه من معاناة الطريق، والذهاب والإياب، وفوضى الأخلاق والزحام.

إن السر في ذلك هو ذكر الله، وفعل الطاعة، فهما خير معين على تحمل المشاق والمكاره، إنها طاقة، ووقود، وغذاء.

إن ذكر الله وعبادته أفضل زاد لتحمل الأعباء، وأقوى سلاح لمقاومة الابتلاء، والحج من أكثر العبادات ذكراً لله، وأدع لك التأمل في كل ذلك، والقرآن والسنة مليئان بذلك، وأفعال السلف وأقوالهم وحياتهم شاهدة بذلك.

وكلما ابتعد الإنسان عن الذكر ضعف وتعرض للخلل، والزلل، والكلل، والملل، والضعف، والوهن، عبادة، وفكراً، وعملاً ودعوة، وهذا لا يعرفه إلا أصحاب القلوب اليقظة، والأحاسيس المرهفة بالذكر، والمقامات العالية، ومن جرّب عرف، وإذا عرفت فالزم.

لا حولا ولا قوة إلا بالله تشرح البال، وتصلح الحال، وتحمل بها الأثقال، وترضي ذا الجلال، وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، وركوب

الأهوال، وأن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه، يسهل الصعب وييسر العسير، فما ذكر الله على صعب إلا هان، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا فرجت، ومع هذا كله فهي كنز من كنوز الجنة.

لو يعلمُ العبدُ ما في الذكرِ من شرفٍ

أمضى الحياةَ بتسبيحٍ وتهليلِ

***

لو يعلمُ العبدُ ما في الذكرِ من شرفٍ

لم يُلههم عنه تجميعُ الدنانيرِ

الإكثار من ذكر الله توفيق وفلاح وسعادة وهداية، والتوفيق توفيق، والحرمان حرمان وخذلان.

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ

ونتركُ الذكرَ أحيانًا فننتكسُ

أحب أن أكون مع الشعب

تعلمنا المناسك قيمة خلقية عظيمة ألا وهي التواضع، وأعظم المتواضعين، صاحب العلو، والرفعة، والمنزلة العظيمة ﷺ .

بلغ التواضع به منزلة لا يطاول فيها أحد من الخلق، فكان يخدم نفسه، ويعمل في خدمة أهله في بيته، ويخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويحمل حاجته، ويسلم على الصبيان ويداعبهم، ولا يتميز عن أصحابه بشيء، ولا يدعوه أحمر ولا أسود ولا صغير ولا كبير إلا أجابه، وكان يقول: آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، وكانت الأمة المملوكة تأتيه فتأخذ بيده، فينطلق معها حيث شاءت حتى يقضي حاجتها هذا مع نهيه ﷺ الشديد لأمته عن الغلو فيه، ورفعه فوق مكانته التي اختارها ربه تعالى له.

هو من؟ إنه سيد البشر وأفضل الأنبياء والرسل. من ذا يجاريك في قول وفي عمل؟!

صلَّى عليكَ الله ياخيرَ الورى

تِعدادَ حبّاتِ الرّمالِ وأكثرا

صلَّى عليكَ الله ما غيثٌ هَمَى
فوقَ السّهولِ وبالجبالِ وبالقُرى
يا خيرَ مَبعوثٍ بخيرِ رسالةٍ
للناسِ يا خيرَ الأنامِ وأَطْهرا

وفي الحج تجلى تواضعه ﷺ في قيادته للناس من خلال مواقف وصور شتى، من أبرزها: حجه ﷺ على رحل رَثّ، وقطيفة لا تكاد تساوي أربعة دراهم، ومنها: إباؤه ﷺ التميز عن الناس بشيء في الأكل والشرب، وقوفه ﷺ لامرأة، والاستماع إليها، والإجابة عن أسئلتها، كل يستطيع أن يصل إليه ﷺ.

(كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه...) [1].

أصحاب القلوب السامية، والأخلاق العالية، والنفوس الزاكية، والأرواح العظيمة.

تجدهم في طوابير المطار، وجلسات الانتظار، وفي باصات الانتقال وفي القطار، تشاهدهم بابتسامتهم ولين الجانب وبذل

(١) رواه أبوداود (٤٦٩٨).

السلام واستماعهم للآخرين، تبلغ بهم السعادة والفرح مبلغاً عظيماً.

لم يخترقوا تلك الطوابير لكي يصل أحدهم للمسؤول فيعرّف بنفسه أنه ذلك الوزير أو القاضي أو الدكتور أو المدير والمسؤول والضابط لكي يستثنى من النظام وعدم الجلوس مع الناس.

سمو المؤمن في نفسه وأمته :

بهذه المعالم النبوية يكون المؤمن خيراً كله، يتألق في جبينه الشرف وفي سيرته السمو والصدف.

رسالته في الحياة لا تجعله عضواً أشل ولا عضواً فاسداً بل عاملاً نافعاً يرتقب في ظله الأمان والفوز والنجاح والسمو.

إن قلبه ينبوع يتدفق بالفضل والإحسان، وحياته سلسلة موصولة ممتدة من فعل الخير، ودعم المثل العليا والأخلاق السامية.

إنه عندما تنمو في نفوسنا بذور الحب والعطف والخير؛ نعفي أنفسنا من أعباء ومشقات ومشكلات كثيرة.

وإليك نموذجاً ليس في قرن الصحابة ولا التابعين ولا السلف، وليس في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، أو صفوة

الصفوة لابن الجوزي ، ولا في حلية الأولياء لأبي نعيم، إنه معالي الشيخ صالح الحصين الزاهد، الورع، المتوفى عام ١٤٣٤، عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مركز الحوار الوطني ورئيس شؤون الحرمين وخبير القانون والاقتصاد وعضو مجلس الوزراء وغير ذلك، ضرب أرواع الأمثلة والزهد في التواضع، كان يعيش بيننا ولكن سيرته سيرة الأوائل:

تشاهده في صفوف الانتظار، له مكتب في المسجد الحرام يجلس فيه، فإذا جاء وقت الصلاة خرج ليصلي مع الناس حيث انتهى به المكان، وبقدرته أن يذهب فيصلي وراء الإمام، لم يخترق الصفوف ليصل إلى ذلك المكان، فإذا اضطر للصلاة في المكتب أحياناً يطفئ أنوار المكتب ويقول: لئلا ينظر إلينا الناس، ونكسر مشاعرهم .

إذا تأخر في أوقات الزحام، وامتلأ المسجد بالناس، يمنع رجال الحراسات الدخول إلى الحرم، فماذا يصنع يا ترى الرئيس العام لشؤون الحرمين؟! وإذا استطاع أن يصل إلى المسجد فعل، فإذا لم يؤذن له الحراس بالدخول رجع فصلى في ساحات الحرم ولم يكن يرافقه أحد يفسح له الطريق ويفتح له الأبواب، لم يكن يحمل بطاقة ليعرف بنفسه الحراس .

من طريف قصصه رحمه الله ، ذات مرة وفي أواخر شهر رمضان، وفي شدة الزحام خرج من الحرم ليجدد وضوءه، فلما عاد ليدخل منع من الدخول، فقال: للحارس معك صالح الحصين، فرفض إدخاله، فقال معك رئيس الحرمين. فقال الحارس: ما شاء الله رئيساً للحرمين، وليس فقط حرم مكة، غير مصدق، يظنه رجلاً معتوهاً. لماذا لأنه كان متواضعاً في لباسه، متواضعاً في غدوه ورواحه، لم يكن معه المرافقون والحواشي، لسان حاله: أحب أن أكون مع الشعب. لم يكن أمام أضواء الإعلام .

إنها تربية القرآن والسنة، إنه ترويض النفس، وكبح جماحها، وكبريائها، إنه التواضع، منحة ربانية، قلّ وجودها، وندر من أبحر فيها، في زمن التنافس، والركض وراء المناصب، والرئاسة.

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ
على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يرفعُ نفسَه
إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ
ولا تمشِ فوقَ الأرضِ إلا تواضعًا
فكم تحتَها قومٌ هُمُوا منكَ أرفعُ

وإن كنتَ في عزٍّ رفيعٍ ومَنْعةٍ
فكم ماتَ من قومٍ هُمُوا منكَ أمنعُ

ألا ليت شعري أي شيء فات من فاته تلك الأخلاق، وأي شيء أدرك من أدرك تلكم الأخلاق.

كان رحمه الله : رافعاً شعار « كن كما أنت».

يقول: «كنت مغرماً في مرحلة المراهقة بقراءة كتب الصحة النفسية، والعبارة التي قرأتها في أحد الكتب ولم أنسها، وهي: (كن كما أنت) فلا تتظاهر بأنك أغنى أو أذكى أو أعلم أو أتقى أو أفضل مما أنت في الحقيقة،طبعاً لا أدعي بأني -في حياتي الطويلة -التزمت بمضمون هذه العبارة، ولكني أعتقد بأن رياضة النفس وتدريبها على مضمون هذه العبارة وسيلة نافعة للصحة النفسية، والشرط الأول في ذلك محاولة معرفة النفس على حقيقتها».

كان يمتثل ذلك في أغلب حياته، في كلامه، في مخاطباته، في لباسه، في رؤيته للحياة، في أفكاره وقناعاته من غير مخالفة لشرع الله .

لسان حاله : ما يعتقده الآخرون عنك ليس من شأنك فلا تبحث عنه ، وإنما ما تعتقده عن نفسك هو شأنك مدى الحياة.

❋ كن كما أنت ولا تتصنع الحياة والتكلف في حياتك.

❋ كن كما أنت ولا ترهق نفسك بالتصنع وفي ما ليس فيك.

❋ كن كما أنت ولا تعش الوهم في كثير من حياتك .

إن كثيراً من المشاهدات والصراعات والمنافسات التي يعيشها كثير من الناس سببها البحث عن الوهم والسراب والزيف وليس الحقيقة .

أيها الجيل: خذ الحكمة وتجربة الحياة من الكبار، وفي سير الرجال مدارس ودروس للأجيال.

ليس من التعظيم

المجيء للبلد الحرام للعمرة والحج فرصة لمحاسبة النفس، والوقوف معها طويلاً، ومراجعة لكثير من الأمور في حياة الإنسان ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، لأن الزائر لهذه البقاع سيكون بعيداً عن كثير من الأشغال.

ليس من تعظيم الله أن تقول لبيك اللهم لبيك ثم تعصيه في بيته وفوق بساط ملكه.

ليس من تعظيم الله أن ترتدي الإزار ثم تشعل سيجارة الدخان.

ليس من العقل أن تقطع المفاوز والقفار لأجل الاعتمار ثم تصول وتجول في الأسواق والساحات لاهياً، عابثاً، فتعود بالآثام والأوزار.

ليس من الإيمان أن تؤذي إخوانك المؤمنين بالسباب، والشتام، والتضييق، والزحام، والاستهزاء، والازدراء، والظلم، والاعتداء، والتصوير، ونغمات الهاتف الجوال.

ليس من الأخلاق ألا تلتزم بأنظمة الحرم وتعاليمه، حفاظاً

على قدسيته، وطهارته، ونظافته.

ليس من الآداب رفع الأصوات، والقيل والقال، والحديث بالجوال بأصوات عالية، مزعجة، مؤذية، بل تجد بعض الناس يتحدث بهاتفه، وهو يطوف بالكعبة، لغير حاجة، وهذا ينافي كمال الذل والعبودية لله.

أستغفرُ الله هـذا بعضُ واقعِنـا
لّـما غَـدونـا بـأرضِ التيه ثاوينا
كـلُّ المعاييرِ قد ضاعتْ مبعثرةً
لّـما تـوغّـلَ في الظلماءِ سَارينا
وهـكـذا صـار تِ الأيـامُ تُنكرنـا
يُرى الرشادُ عَمى واللَّبسُ تَبيينا
ولا رَجـاءٌ سِـوى غيثٌ يمـنُّ بـه
ربُّ السمواتِ بالإيمانِ يُحيينا

تعزيـة

إنك لتشاهد كثيراً من الناس وقد أصيب بهوس الهاتف النقال وجنونه، فمنذ أن يسلّم من صلاته، وقبل ذكر الله يفتح جواله، وفي التراويح بعد كل تسليمة يتفقد رسائله واتصالاته، وتارة يضعه أمامه، ويشغل من بجواره، فكيف يأنس ويتلذذ بصلاته، ويتدبر كلام ربه، وقد سرى ذهنه مع كل رسالة واتصال؟

عزائي للمنشغلين بالجوال خلال تسليمات صلاة التراويح لغير حاجة، وقد فاتتهم الفضائل والغنائم:

تكبيرة الإحرام، والاستماع للفاتحة والقراءة ، والتأمين .

كن حازماً مع نفسك، وانقطع ساعة وسويعات لربك ومولاك، فلا تدري في أي لحظة تنال الشرف العظيم من رب العالمين !؟

يا ابن الإسلام: إن كثيراً من تلك التصرفات حين يراها ابن الإسلام الجديد، وهو حديث عهد بكفر، ما هو الشعور الذي سيخالجه والتفكير الذي سينتابه عن الإسلام والمسلمين؟

وهـل ضـيّـع الإســلامَ إلا قـائـلٌ
أفـعـالُـه تَـنـفـي الـمـقـالَ وتـهـدمُ

يا ابن الإسلام ومكة: إياك إياك أن تكون سبباً في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، إياك إياك أن تكون سبباً في ردة المسلمين الجدد عن الإسلام.

أيها المعتمر: أي خسران أعظم يوم أن ترجع بالأوزار والسيئات، ويرجع الآخرون بالغفران والحسنات؟

أي خيبة أكبر، يوم أن تعود أنت بنفس لم تزدد من الإيمان، ولم تتلذذ بالطمأنينة، والسكينة، والروحانية، ويعود الصادقون بنفوس مهذبة، تقية، نقية؟ إياك إياك.

إياك إياك والظلم في مكة، إياك أن تتكبر وتتجبر، فنهاية أبرهة الأشرم ذلك الظالم عبرة، وعظة، لكل ظالم أراد البغي، والفساد، والظلم في البلد الحرام.

وإليك نهاية أحد الظالمين عتا، وتجبر، واعتدى، وبغى على حمَام الحرم والطائفين بالحرم إنه يوسف بن محمد الملك المسعود ابن الملك الكامل فقد ذكر جمال الدين الحصري قائلاً: قد رأيت يوسف بن محمد وقد صعد على قبة زمزم، وهو يرمي حمام مكة

بالبندق، ورأيت غلمانه يضربون الناس بالسيوف في أرجلهم بالمسعى، ويقولون اسعوا قليلاً قليلاً فإن السلطان نائم سكران في دار السلطنة بالمسعى، والدم يجري من ساقات الناس، وكان قد ظلم التجار فأصيب بالفالج، ويبست يداه ورجلاه، فمات شر ميتة[1]، فما قصده من جبار إلا قصمه الله.

ومن يبذل الشوك يجني الجراح، وسنة الله إمهال الظالم لا إهماله.

* محمد بن إبراهيم العباسي: أمير مكة في عهد أبي جعفر المنصور والمهدي كان كبير القدر أثنى عليه الفاكهي، وله أخبار حسنة، ومنها: أن أبا جعفر المنصور أمر بحبس سفيان الثوري، وابن جريج فحبسا ثم فك أسرهم محمد بن إبراهيم لعلمه بجلالة العلماء، وحاله:

كلُّ من بالحقّ أحيا نفسَه

لا ترى الباطلَ يَحني رأسَه

فغضب المنصور وكتب إليه المهدي كتاباً يدفعه لسفيان فأخفاه أياماً، وكان سفيان يخرج في الليل يطوف، وكان لمحمد بن إبراهيم وقت من الليل يطوف، ويصلي خلف المقام، فتحيّن

(١) العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين للفاسي (٧/ ٤٩٤).

سفيانَ ذات ليلة فلصق به، وهو يصلي، فقرأ قول الله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ فعرف سفيان ما أراد، فخرج من ليلته، فلما كان ذلك أخرج بعده الكتاب، وأمر بطلب سفيان فلم يجده، وحاله:

وما أنا ممن تَقبلُ الضيمَ نفسُه

ويَرضى بما يَرضى به كلُّ ظالم

عظمة البيت الحرام

ودعنا بعد هذا نحلق سوياً ونطوف معاً ونرتع في رياض القران والسنة، وتاريخ الأمة المسلمة، لنجد كيف عظّم البيت فيها، ونطيل النظر، والتأمل، والاستشعار عندها، فتعال، وهلم، قال الله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥) قال أهل العلم رحمهم الله: وكلمة إلحاد تعم كل ميل إلى باطل سواء كان في العقيدة أو غيرها.

وتعظيم البيت من تقوى الله كما قال ابن كثير عند قول الله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢).

وكلما عظمت التقوى عظم التعظيم بل هو خير كثير، وثواب جزيل، قال الله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (الحج: ٣٠).

واسمع أخرى لحديث يجلجل الأذان، ويهز الجنان، ويقرع الجوارح والأركان، ثبت أنه ﷺ قال: (**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ومنهم: ملحد في الحرم**)[1] وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٨٢).

(لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عذاباً أليماً)[١] وقال بعض السلف: حتى إن الهم بالسيئة فيه وعيد عظيم، فإذا كان من همّ متوعداً بالعذاب فكيف بحال من فعل في الحرم الإلحاد بالسيئات، والمنكرات.

قال ابن رجب: وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه[٢]، وروي عن عمر رضي الله عنه: (لأن أخطئ سبعين خطيئة بغير مكة أحب إلي أن أخطئ خطيئة بمكة،[٣] وقال ﷺ: **(إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة)**[٤]، وقال ﷺ: **(أعتى الناس على الله ثلاثة ومنهم: ورجل قتل فيها)**[٥]،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٤٠٧١) والطبري في تفسيره (١٨/ ٦٠١) وصححه ابن كثير في تفسيره (٥/ ٣٦١) والبوصيري في إتحاف الخيرة برقم (٥٧٦٥).

(٢) (جامع العلوم والحكم٣٣٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم (٨٨٧١) والأزرقي في أخبار مكة برقم (١٤٣١) وفي سنده إنقطاع.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣١٨٩) ومسلم برقم (١٣٥٣).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٦٧٥٧) والفاكهي في أخبار مكة برقم (١٨٠) وحسنه الوصيري في إتحاف الخيرة (١/ ٤٦١).

وقال: **(أعتى الأعداء من عتا على الله في حرمه)**[١]، أي تجبر وتكبر، وورد عنه ﷺ أنه قال في الكعبة: **(ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك)**[٢].

وورد عن عمر رضي الله عنه قال: **(احتكار الطعام بمكة إلحاد)**[٣].

قال ﷺ: **(لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فإذا ضيعوا ذلك هلكوا)**[٤].

إن علة العلل ورأس الخلل تضييع الحقوق، ومن ذلك تضييع حق الله في بيت الله.

ورد عن مجاهد قال: لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس: اهدموا، قال: فأبوا أن يهدموا وخافوا أن ينزل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١٦٥) والفاكهي برقم (١٤٣٩) وعزاه البوصيري في إتحاف الخيرة برقم (٢٦٥٥) وغيره لأبي يعلى في مسنده.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٣٢) والطبراني في الكبير (١٠٩٦٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٢٠).

(٣) أخرجه الأزرقي (٢/ ١٣٥) والفاكهي برقم (١٧٧٦) وحسنه الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود برقم (٢٠٢٠).

(٤) أخرجه أحمد برقم (١٩٠٤٩) وابن ماجه برقم (٣١١٠) وحسنه ابن حجر في الفتح (٣/ ٤٤٩).

عليهم العذاب[١].

قال مجاهد: فخرجنا إلى منى فأقمنا بها ثلاثاً ننتظر العذاب[٢].

قال: وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء اجترأوا على ذلك، قال: فهدموا معه[٣].

أيها الضيف: تكون بخير في مالك وبدنك ما دمت لهذه الحرمة مجلاً.

أيها المقيم: تكون بخير في أهلك ودارك ما دمت لهذه الكعبة معظمًا.

أيها المعظم: تكون بخير في دنياك وأخراك ما دمت لهذا البيت مقدسًا.

لنكن جميعًا من المعظمين لهذا البلد الأمين، ودعاة لتعظيمه وتطهيره، ونشر فضائله، وآدابه، وقدسيته، وخصائصه، وتربية الناشئة على ذلك، لننطلق دعاة للعالمين، ونشر التوحيد من بلد التوحيد، نشر فضيلة التسامح، والتصافي، والعفو، والأخلاق السامية.

---

(١) أخبلر مكة للأزرقي ١/ ٢١٤.

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢١٤.

(٣) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٠٥.

غربة البيت

وإنه على مر السنين والأزمان مرّ البلد الحرام بغربة عظيمة وأيام عصيبة، تجرأ عليه الكفار والفجار حتى سالت فيه الدماء.

ما أشد غربته يوم أن يسفك فيه الدم الحرام!!

ما أشد غربته يوم أن يشهر فيه السلاح!!

ما أشد غربته يوم أن يشرك فيه بالله ويدعى فيه غير الله!!

ما أعظم غربته يوم أن يهجره بعض أهله وجيرانه!!

ما أعظم غربته يوم أن تنزع المرأة فيه الحجاب وتنتقب بالنقاب وتتطيب بأحسن الأطياب فتَضل وتُضل وتَفتن وتُفتن وتصد عن المجيء إلى الحرم!!

ما أعظم غربته يوم أن يشعل المدخن سجارته بساحة البيت وبجوار أبوابه، فيؤذي عباده ورواده ويلوث هواءه!!

ما أعظم غربته يوم أن يسمع بجواره صوت أغنية ومزمار وبداخله وبين أروقته يسمع دوي نغمات وموسيقى الجوال!!

فـلا وجه يتمعّر ولا لسان ينصح بالحكمة .

أليس لله في قلوبنا إجلال وإعظام؟

أليس لهذا البيت في نفوسنا حرمة وإكبار؟

أليس لهذه الكعبة في أعيننا هيبة ومقدار؟

ولو عرفَ الإنسانُ حُرمةَ أرضها

تأدبَ فيها واستقامَ وعظّما

إن المخالفة الحقيقية ليست مع سدنة البيت بل مع رب البيت..

إنها مناظر تعكر صفو العباد ونفوس العمار وخواطر الزوار..

مناظر تبعث في النفوس المؤمنة والعقول الراجحة: ألماً، ومضضاً، ولوعة، ولذعة، وكدراً وضيقاً..

إنها صور عزاء ورثاء أقدمها لأمتي ولنفسي يوم أن تساهلت في تعظيم هذه الكعبة..

أيها العقلاء :

كيفَ النجاةُ من الخطوبِ تخلصاً

من بعدِ ما أنشبنَ فيّ مخالبا

****

لابدّ من حلٍ ومن علاجِ

من غيرِ تطويلٍ ولا لجاجِ

أثر البيت الحرام في حياتنا

إن للبيت الحرام أثراً في نفوس أهله، ومرتاديه، على مر التاريخ والأزمان: عبادة، وسلوكاً، وعلماً، وأخلاقاً، ودعوة، وتعليماً على الذكور والإناث، والكبار والصغار، وإليك صوراً، وصفحات، مضيئة، مختصرة، من ذلك الرعيل، والجيل الفريد، الذي تربى بين جبال مكة، وأوديتها، وأروقة البيت الحرام، ونهل من معينها الرقراق، واستقى من مائها، العذب، الزلال، ونال من علمها، الصافي، الهطال.

جيرانُ مكةَ غـرسُ الدينِ أينعَ في
قلوبهم باسقًا يُهدي الهُدى ثَمراً
سقوهُ من أَنهُرِ الإخلاصِ صافيَها
فاخضلّ يُطلعُ من أكمامها زَهرا

فدونك هي:

* عطاء بن أبي رباح أبو محمد المكي: أحد أعلامها، وعلمائها، وفقهائها، اشتهر اشتهار الشمس الضاحية، والبدر

في السماء الصاحية، أعجوبة الزمان، ونادرة الأوان، قيل عنه الكثير والكثير، ومن ذلك:

- كان لا يفتر عن ذكر الله.

- انتهت إليه الفتوى في مكة فهو مفتيها.

- حج سبعين حجة، وجاور بمكة أربعين سنة.

- بعدما كبر وضعف أصبح يقوم فيصلي بمائتي آية لا يتحرك منه شيء.

- من أقواله: (إن الرجل ليحدث بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط، وقد سمعته قبل أن يولد)[1].

- كان جمع من الصحابة والتابعين والعلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون: أعلم الناس بالمناسك عطاء وكانوا يتحرون رأيه وفتياه في المناسك بل كان مرجعاً للولاة في ذلك.

هذي الفضائلُ في شخصٍ قد اجتمعتْ

أَعني كبيراً فخذْ من طيبِ أجناسِ

* ابن قيم الجوزية: حج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه.

(١) (العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين للفاسي ٦/ ٨٤).

ألفّ كتاب (مفتاح دار السعادة) وهو في مكة جاء فيه: وكان هذا من بعض النزول والتحف التي فتح الله بها علي حين انقطاعي عند بيته، وإلقائي نفسي ببابه، مسكيناً، ذليلاً، وتعرضي لنفحاته، في بيته، وحوله، بكرة وأصيلاً، فما خاب من أنزل به حوائجه وعلّق به آماله، وأصبح ببابه مقيماً، وبحماه نزيلاً)[1].

* شيخ المفسرين والحجاز: محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري المكي جاور بمكة زمناً.

* إمام الحديث في مكة: سفيان بن عيينة الهلالي قيل عنه:

- ما رؤي مثله أعلم بالسنن.

- أوذي وحبس في الله ، ومن أجل دين الله.

* إمام الحرمين: عبدالملك بن عبدالله الجويني:

- جاور بمكة أربعين سنة.

- رزق مع سعة العلم كثرة في العبادة لم تعهد من غيره.

- حين وفاته غلقت الأسواق.

* أحمد بن حجر الهيتمي: جاور بمكة وأقام بها، جمع بين

(١) ابن القيم لبكر أبو زيد.

الفقه والحديث، درّس وألّف وأفتى[١].

❋ الفضيل بن عياض: العابد الزاهد، جاور بمكة وتوفي بها.

❋ العابد: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج[٢]:

- أول من صنف الكتب بالحجاز.
- من أوعية العلم، فقيهاً، عالماً.
- من عباد مكة .

❋ عمرو بن دينار الجمحي:

- عالم أهل مكة في زمانه.
- مفتي أهل مكة .
- لا يدع إتيان المسجد، فلما مرض كان يحمل على حمار إلى المسجد.
- كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء للنوم والصلاة والعلم[٣].

---

(١) المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة لعبدالله مرداد. ١٢٢.

(٢) العقد الثمين ٥/ ٥٠٨.

(٣) العقد الثمين٤/ ٣٧٤.

حسن الجوار

إن للجوار آداب، وأخلاق، وفضائل، يتحلى بها المجاورون للبلد الحرام على مر العصور والأزمان، ولقد ضرب المجاورون أروع الأمثلة في حسن الجوار.

ترجم الفاسي لعمر بن مكي الخوزي بقوله: وكان عابداً، زاهداً، نزل مكة، وجاور بها على أحسن طريقة، وأجمل سيرة [١].

وقال عن محمد بن إسحاق الشيرازي جاور بمكة ثلاثين سنة، على طريقة حميدة، من الإقبال على العبادة، والخير، وكف الأذى [٢].

وقال عن أبي بكر الجبرتي، المعروف بالمعتمر، لكثرة اعتماره، كان من المجتهدين في العبادة، وحب الخير، سليم الصدر، واغتبط به أمير مكة، وقاضيها، واشتهر ذكره عند الناس، له مساع مشكورة في أفعال الخير، والسعي في قضاء حوائج الناس [٣]، وورد في الأثر (صنائع المعروف تقي مصارع

(١) العقد الثمين ٦/ ٣٦٣.

(٢) العقد الثمين ١/ ٤١٠.

(٣) العقد الثمين ٨/ ٣٧.

السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)[1] (وإذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه)[2].

قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ مكارمُهم

وعاشَ قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ

والنسبة لمكة شرف، وأي شرف، لأنها نسبة لبلد الله، ليست نسبة تعصب قبلي، واجتماعي، ودولي، يروى أن الفيروز آبادي اللغوي الفقيه، صاحب القاموس المحيط، قد جاور بمكة سنين، ثم خرج منها، وكان يرغب الرجوع إليها، فما قدّر له ذلك حتى توفي، وكان يحب الانتساب لها، وكان يكتب بخطه: الملتجئ إلى حرم الله [3] بل درج كثير من العلماء وغيرهم بتلقيب أنفسهم بالمكي.

(١) كنز العمال برقم (١٥٩٦٥)وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٩٥).

(٢) أخرجه الديلمي كنز العمال برقم (١٤٥٩٤).

(٣) العقد ٢/ ٣٩٩.

هنيئاً أيها المجاورون

معشر المكيين سكاناً ومقيمين: هنيئاً لكم المقام، وروي: (المقام بمكة سعادة)[١]، وهنيئاً لكم الجوار، فأحسنوا الجوار، وأعطوا البيت حقه.

يا أهل مكة وجيرانها: إذا اشتاقت النفوس للطواف بالبيت فماذا سيكلفكم الذهاب من مال ومشقة؟! وأما غيركم فكم سيتحمل من عناء السفر، وبذل المال، وقلة الراحة، وترك الأوطان فهل عرفنا نعمة الجوار؟ وهل قدرناها حق قدرها؟

ثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: (**استمتعوا من هذا البيت**)[٢] وعن عبدالله بن عمرو أنه قال: (**تمتعوا من هذا البيت**)[٣].

يا أهل البيت: إن الناس إذا أصابهم الملل، والكلل، خرجوا إلى شواطئ البحار، وضفاف الأنهار، وجميل الجبال والوديان،

---

(١) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢/ ٢٢) ولا يصح مرفوعاً كشف الخفاء برقم (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه البزار برقم (٦١٥٧) قال الهيثمي ورجاله ثقات مجمع الزوائد برقم (٥٢٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٥٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (١٤١٠٨) وورد من قول ابن عمر.

لكنكم أنتم تخرجون إلى المسجد الحرام، فيسلوا عنكم كل هم، فترجعون بالغنيمتين.

بمكةَ قد طَابتْ مُجاورتي فَيا
إلهي فاجعلها مَدى العُمرِ سَرمَدا
فأنتَ الذي أَحللتنَي ساحةَ الهَوى
وعــودتَ قلبي عــادةً فتَعــوّدا

ولقد كان من شدة تعلق بعض الصالحين بمكة، وحبهم لها، أنهم كانوا يدعون الله أن يتوفاهم بها، فقد ذكر الفاسي في عقده : أن أحمد بن علي العلبي الزاهد، وقد اشتهر بالعبادة، والورع، والانقطاع عن الخلق، والإقبال على الحق، كان إذا حج زار القبور بمكة، ويقول يارب هاهنا هاهنا، فاستجاب الله دعوته، فتوفي محرماً يوم عرفة، وصلى عليه أهل الموقف، وحمل إلى مكة، وصلي عليه أخرى بالحرم، ودفن بالمعلاة، بجوار الفضيل بن عياض رحمهم الله .

وترجم لعمر بن مكي الخوزي بقوله: وكان عابداً،زاهداً، نزل مكة، وجاور بها على أحسن طريقة، وأجمل سيرة.

جمالَ ذي الأرض كانوا في الحياةِ وهمْ
بعدَ الوفاةِ جمالُ الكُتْبِ والسيرِ

نعمةٌ وأُمنية

عبد الله: إن من نعمة الله عليك زيارة البيت العتيق، يوم أن حرمه كثير من العالمين، فحالت بينهم وبينه المصائب والأقدار: ما بين مقعد على الفراش، كانت زيارة البيت من أعظم مناه، فوافاه الأجل قبل رؤياه، وما بين فقير، ليس عنده من الزاد ما يبلغه إياه، وما بين تائه، شارد، عن الله، ورضاه، أضاع أمره، وحياته، في المحرمات، والسفر إلى بلاد الشرق والغرب.

وأمم من المسلمين حالت بينهم وبين البيت الحروب والخطوب، حقق الله أمانيهم، ورزقهم لذة الطواف، والصلاة، بالبيت، فإنها من أسعد اللحظات، وأجل الهبات، وأعظم المكرمات.

إنك لتشاهد أولئك المقبلين على البيت، وفي وجوههم، ونفوسهم، الابتهاج، والسرور، والحبور، يكاد قلبه يطير من الفرح، ونفسه تهتز، متهلل الوجه، طلق المحيا، مشرق الجبين، متألق الغرة، برقت أساريره، وانشرح صدره، تتدفق العبرات، وتتوقف العبارات إلا من الشكر، والتكبير، والتلبية، والدعوات.

قال ﷺ: (إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق)[1].

وقال ﷺ: (فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: عبادي جاءوني شعثاً من كل فج عميق، يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر، لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى)[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٤٧٨٢) وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة برقم (٩٥٩).

(٢) أخرجه البزار برقم (٦١٧٧) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١١٢).

وفي رواية وقال فيه: (**فإن لك من الأجر إذا أممت البيت العتيق ألا ترفع قدماً أو تضعها أنت ودابتك إلا كتبت لك حسنة، ورفعت لك درجة، وأما وقوفك بعرفة فإن الله عز وجل يقول لملائكته: يا ملائكتي ما جاء بعبادي قالوا: جاؤوا يلتمسون رضوانك، والجنة، فيقول الله عز وجل: فإني أشهد نفسي وخلقي أني قد غفرت لهم، ولو كانت ذنوبهم عدد أيام الدهر، وعدد رمل عالج، وأما رميك الجمار قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾**(السجدة: ١٧)، **وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض إلا كانت لك نوراً يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت إذا ودعت فإنك تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك**)[١].

ما أعظم المشهد حين غروب الشمس، وحين الشروق، وفي الليل الآخر، وأنت أمام الكعبة، والمقام والحطيم؟! قد سُرّى كل هم، ونسي كل غم، وانجلى كل كرب، روحانية ونفحات إلهية.

الجميع في إقبال، ودعاء، وتضرع لله، لعلمهم أنه لا إله إلا هو: يسد خلتهم، ويشبع نهمهم، ويرد حاجتهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٢٣٢٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١١٣).

كُـلّـهـم سـائـلٌ وأنـــتَ مجيبُ
تـلـكَ نـعـمـاكَ مـالـهـا مـن نـفـادِ
يـروقُ لي منظرُ البيتِ العتيقِ إذا
بـدا لطرفيَ في الإصـبـاحِ والطَّفِلِ
كـأنّ حليتَها الـسـوداءَ قد نُسجَتْ
من حبةِ القلبِ أو من أَسودِ المُقَلِ

فوات الفرص يورث الندم

الوقت في الحرم فرصة، وتجارة، لمضاعفة الأجور، والحسنات، فبادر، واغتنم الفرصة قبل المغادرة، فالصلاة بمائة ألف صلاة، وكان كثير من علماء الأمة، وعبادها، وخيارها، يستحبون الصيام في مكة، والصدقة، وختم القرآن، والإكثار من الطواف، لمضاعفة الأجر فيها، فاغتنم الساعات، بل الدقائق، واللحظات، ولا تؤثر بها أحداً، إلا لمصلحة، يقول ابن القيم: «الإيثار المحمود الذي أثنى الله على فاعله، الإيثار بالدنيا، لا بالوقت، والدين، وما يعود بصلاح القلب»، وسددوا، وقاربوا، والحكمة ضالة المؤمن، والحكمة توفيق.

السفر للبلد الحرام دورة مكثفة، وتجارة رابحة، وميدان للتنافس، إما نجاح، أو خسران **(فكل يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)**[1] فمن أي الفريقين أنت، أياً كنت، ومهما كنت؟!

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

يا من قدمت الحرم زائراً:

كن حبيساً للحرم ولو ساعات، فما هي إلا أيام، وساعات، كن مكثراً فيها من الصلاة، والطواف والذكر، والقرآن، بتضرع، وإخبات، وذل، وانكسار بعيداً عن كثرة اللقاءات والاتصالات.

ولا تكسلْ عن الطاعاتِ فيهِ
فهذا الوقتُ وقتُ الاغتنامِ

قال ﷺ: **(وانتظار الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما)**[(١)].

وقال: **(صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)**[(٢)].

* **سنة غائبة:** الجلوس إلى الإشراق قال ﷺ: **(من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى طلعت الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة)**[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥١).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٤٦٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه برقم (٥٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٤٦) وقال صاحب مرقاة المفاتيح ورواه الطبراني بسند جيد وقال الهيثمي والمنذري سنده جيد وسنية الجلوس في صحيح مسلم]. انظر كتاب (بغية المشتاق في أحكام صلاة الإشراق للمؤلف).

مسائل فقهية

* **مسألة فقهية:** الطواف لا ينقض أجر الجلوس للإشراق على الصحيح من قولي أهل العلم .

* **مسألة فقهية:** مضاعفة الصلاة تكون في الحرم كله وليس في المسجد الحرام فقط كما رجحه عطاء وهو رأي جمهور العلماء، وابن القيم وابن باز رحمهم الله[١] .

قال ابن تيمية: والصلاة وغيرها من القرب بمكة أفضل، واختاره الإمام أحمد والنووي وجمع من العلماء[٢] .

* **مسألة فقهية:** أجر المضاعفة بمائة ألف صلاة يشمل الفرض والنفل وهو مذهب الشافعية والحنابلة وقول للحنفية والمالكية .

ولك -عبد الله- أن تحسب وتعد صلاة واحدة بالحرم فهي تساوي أجر صلاة خمسة وخمسين عاماً وستة أشهر وعشرين ليلة في غير الحرم قال ابن حجر: (وهذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة فإنها تزيد سبعاً وعشرين درجة)[٣] .

---

(١) انظر إلى كتاب التحفة في أحكام العمرة والمسجد الحرام للمؤلف .

(٢) الاختيارات ١١٣ ، وزاد المعاد ٣/ ٣٠٣.

(٣) فتح الباري ٣/ ٨٢.

وقال الزركشي الشافعي في «إعلام الساجد»: «وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام وهي خمس صلوات عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال»

* **مسألة فقهية:** هل الأعمال الأخرى من الصيام والصدقة والطواف وقراءة القرآن بمائة ألف حسنة كالصلاة ؟

مذهب الأئمة الأربعة أن المضاعفة عامة .

فما العمرُ إلا صفحةٌ سوفَ تَنطوي

وما المرءُ إلا زهرةٌ سوفَ تَذبلُ

عبادة ليست في بلدك

الطواف من أفضل العبادات للغرباء الزائرين، لأنها عبادة لا تكون إلا في المسجد الحرام، قال ﷺ: (**من طاف بالبيت كتب الله عز وجل له بكل خطوة حسنة ، ومحا عنه سيئة**)[١] وقال: (**من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة**)[٢] وقال ﷺ في مسح الركنين اليمانيين: (**إن مسحهما يحطان الخطيئة**)[٣] فاستكثروا فيه من الصلاة، والطواف، والصدقات، وقد تقدم لك نماذج من أولئك العباد فلعل همتك تسمو.

فبادر باغتنام العمل قبل دنو الأجل..

ألستَ تَرى هذي الفضائلَ جُمعتْ
بمكةَ لا في غيرِها أنتَ واجدُ
فَعَضَّ عَلَيها بالنواجذِ شاكراً
لربّك إذ سِيقتْ إليكَ الفرائدُ

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٩٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٨٠).

(٢) انظر ما قبله.

(٣) انظر ما قبله.

* **مسألة فقهية:** أيهما أفضل للزائر الطواف أم الصلاة في المسجد الحرام ؟

محل خلاف بين العلماء رحمهم الله :

القول الأول: الطواف أفضل ، فعن ابن جريج قال: كنت أسمع عطاءً يسأله الغرباء: الطواف أفضل لنا أم الصلاة؟ فيقول: أمَّا لكم فالطواف أفضل، إنكم لا تقدرون على الطواف بأرضكم [١] وهو رأي ابن عباس [٢] وأنس [٣]. وهو مذهب جمهور الفقهاء والسلف [٤] .

القول الثاني: الصلاة أفضل ، وهو قول لبعض الشافعية واختاره الهيتمي [٥] لأن الصلاة بمكة مضاعفة ، ولأنها أفضل العبادات.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٠٤٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٠٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٢٨).

(٤) «تبيين الحقائق» (٢/ ٢٢)، «الذخيرة» للقرافي (٣/ ١٧٥)، «تفسير القرطبي» (٢/ ١١٣)، «المجموع» (٨/ ٥٦)، «المغني» (٣/ ٤٧٧).

(٥) «تحفة المحتاج» (٤/ ١٤٤).

القول الثالث: أن الإنسان يفعل ما هو الأصلح والأنفع لقلبه.

وليحرص عبد الله على ما يفتح الله عليه من أنواع العبادات من صلاة وقراءة قرآن وطواف وذكر وصدقة وصيام وغير ذلك.

* يجوز، قطع الطواف النافلة لعذر ولغير عذر ، لأنه سنة يجوز قطعها، وورد ذلك عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.

* يجوز تكرار الطواف سبعاً سبعاً من غير فصل بينهم بركعتي الطواف، لأنه ورد ذلك عن عائشة والمسور وغيرهم رضي الله عنهم.

* يجوز أن يفصل بين الطواف بركعتي الطواف ، ويجوز أن يؤخرها بعد ذلك .

* هل الطواف هو تحية المسجد؟

ليس هو تحية المسجد، فيجوز للإنسان أن يصلي ركعتين تحية المسجد ولا يطوف، وإذا طاف صلى ركعتين بنية ركعتي الطواف وتحية المسجد.

مفاهيم خاطئة

بعض الناس جعل العمرة سياحة ونزهة، فقد أصبحت بهذا المعنى جسداً بلا روح، وشكلاً بلا مضمون، ولقد أتى على الناس زمان أصبحت الصلاة فيه عادة، والصوم جلادة، يحج أغنياؤهم للنزهة، وفقراؤهم للتكسب.

تحولت العبادات إلى عادات، وحركات وطقوس فحرمنا أثرها في النفوس..

إن من غايات التعبد وحكمه تهذيب النفوس، والسير بها لما يرضي الملك القدوس، فسل نفسك لماذا تذهب لمكة؟ لماذا تأتي بعمرة؟ أليس لطلب المغفرة والرحمة؟

إننا نشاهد وللأسف أصبحت زيارة الحرمين عند بعض الناس مباهاة لا عبادة، ونزهة لا طاعة، ويتفاخرون في أي الفنادق يسكنون، وكم مدة يمكثون؟

العمرة عبادة تقصد، من خلالها يرجو العبد ما رتب الله عليها من الفضائل، والغنائم، ومغفرة الذنب، وتجديد العهد مع الله.

زمزم المعجزة الخالدة

* زمزم الماء المبارك، فقد ثبت من قوله ﷺ في زمزم: **(إنها مباركة طعام طعم)**[١].

* زمزم الماء والدواء، قال ﷺ: **(وشفاء سقم)**[٢].

وقال: **(زمزم لما شرب له)**[٣].

وورد أن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا شرب من زمزم دعا، وقال: (اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء)[٤].

* زمزم شربه من الإيمان ، قال ﷺ : **(آية ما بيننا وبين**

---

(١) رواه مسلم أخرجه مسلم برقم (٢٤٧٣).

(٢) [رواه الطبراني] أخرجه الطيالسي برقم (٤٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٤٣٥).

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٤٨٤٩) وحسنه ابن القيم في الزاد (٤/ ٣٦١) وجوَّد إسناده الزركشي، وقال السيوطي:" وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر"، انظر الدرة المنتثرة برقم (٣٥٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق برقم (٩١١٢) والدارقطني في سننه برقم (٢٧٣٨) من فعله، وأخرجه الفاكهي من قوله برقم (٧٠٨، ١١٠٧).

المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم) أي لا يرتوون[1].

* ماء زمزم شربه عبادة، وطاعة، وقربة.

* يستحب الدعاء عند شرب ماء زمزم .

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا شربه قال: «اللَّهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاءً من كل داء)[2].

وقد تواتر عن السلف وغيرهم أن شربه سبب في استجابة الدعاء.

ويقول أبو عمرو التميمي: (لما أردت أن أشرب من ماء زمزم، فكرت لأي شيء أشربه فتحيرت، ثم تذكرت أن أشربه لإجابة الدعاء. قال: فما سألت اللهَّ في تلك المواقف في شيء إلا أعطانيه إلا دخول الجنة».

يقول ابن العربي في أحكام القرآن : «كنت مقيمًا بمكة، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرًا، وكلما شربته نويت العلم والإيمان، ففتح اللهَّ تعالى لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من

---

(١) أخرجه الدارقطني برقم (٣٠٦١) والفاكهي برقم (١٠٧٩) وضعفه الألباني في الإرواء برقم (١١٢٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧٣٩).

العلم، وشربه خلق عظيم للعلاج فشفوا بإذن ربهم»[1].

يا طيبَ زمزمَ مَطعمًا أو مشربًا
تهفو لِوردِ نعيمهِ الأرواحُ
الله أودعه عناصرَ رُكّبتْ
فيه يحارُ بِكنهها الشّراحُ
فتضلعوا من مائه وادعوا فقد
جاءتْ أحاديثُ بذاك صِحاحُ
من قال زمزمَ قُدّست أسرارُها
عند الإله فما عليه جُناحُ

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (١٣٦/ ٥).

ما أجمله ؟

ما أجمل أن يخرج الرجل إلى المسجد الحرام في أتم زينة، وأحسن حلة، وأجمل طيب، بنفوس منكسرة، وقلوب وجلة، وجوارح ساكنة، خاضعة، مطمئنة، معظمة للبيت، ورب البيت، يعلوها الذل، والانكسار والحياء.

ما أروع وأجمل أصوات الطائفين، ودعاء المتضرعين، وابتهال الذاكرين، ومناجاة الخائفين المستغفرين!!

ما أجمل الملتزمين بالكعبة بين الباب والحجر، وقد علقوا أيديهم بأستار الكعبة، هملت دموعهم، وسحت عبراتهم، وسمع أنينهم ونجواهم.

إنها مشاهد تسير بالقلوب إلى علام الغيوب، وتحدو بالنفوس إلى ما يرضي الملك القدوس، وتشحذ الهمم نحو الطاعة، وتدعو النفس للمحاسبة والاعتراف بالتقصير.

موكب أسرى

ما أجمل ذلك الموكب الأسري الأب وأسرتـه؟ حينما يتوجهون إلى البيت الحرام تعظيماً وإجلالاً!! كم سيكتب لهم من التوفيق والرضا بأمر الله؟ كم هو درس تربوي عملي ناجح؟.

كم يثلج الصدر، ويفرح القلب، حينا يشاهد ذلك الأب وتلك الأم وأولادهما في الحرم ما بين مصل، وقارئ للقرآن، وآخرون يطوفون بالبيت في منظر بهيج رائع .

أين أولئك الذين يدفعون بأسرهم إلى قضاء سهراتهم في مراتع ووحل المحرمات في بلاد الشر والكفر من هؤلاء؟! يشاهدون تلك المناظر المخزية، المؤلمة، داخل المطارات، والمطاعم، والأسواق، وشواطئ البحار، مما يضعف إنكار تلك المخازي في القلوب بعد أن كانت تستعظمها النفوس، النقية، الصالحة، الطاهرة، التقية، وكانت تلك المظاهر يوماً ما مما يتسامع الناس به، وربما لم تصدقه الأسماع، أو يكون نسجاً من خيال، فأصبحت شاهداً، مباشراً للعيان، فاللهم الثبات الثبات حتى نلقاك، ونعوذ بك من الفتن.

ما أجمل أن يتذكر المرء والديه وإخوانه وأولاده وأحبابه،

وكل مصاب منهم، وأسرى المسلمين، فيذكرهم بالدعاء من جوار الكعبة!!

ما أروع أولئك الذين يفشون السلام، ويبذلون الكلمة الطيبة، ويهدون الابتسامة الصادقة، في غدوهم ورواحهم، ومن صلى وجلس بجوارهم!!

فابذلوا السلام يا أهل الإسلام، تدخلوا جنة ربكم بسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام، [1] والله يقول: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٣)، وورد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: (**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: منها بذل السلام للعالم**) [2]، وقال ﷺ: (**والكلمة الطيبة صدقة**) [3]، وقال: (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**) [4] ولا تكلفك ثمناً.

---

(١) أخرجه أحمد بلفظ (٢٣٧٨٤) ولفظه: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام." وصححه الترمذي برقم (٢٤٨٥).

(٢) علقه البخاري في كتاب الإيمان (باب إفشاء السلام من الإسلام) ووصله ابن أبي شيبة برقم (٣٠٤٤٠) وصححه ابن حجر في التغليق (٢/ ٣٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٧٢).

أي فرح وشعور سيكتنف أخاك المسلم حين تسلم عليه، وتسأله، عن حاله وحال المسلمين في بلاده؟

قد يمكثُ الناس دهراً ليسَ بينهم ودٌّ

فيزرعه التسليمُ واللطفُ

إنه في مثل هذه المشاهد، والصور تتجلى الأخوة الإيمانية، وتتجسد المحبة الصادقة، قال ﷺ: **(إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق)**[1].

ليسَ دينًا بغيرِ دينٍ وليس الد

ينُ إلاّ مكارمَ الأخلاقِ

جمال الروح هو الشيء الذي يستطيع أن يراه الأعمى، فكن جميلاً بأخلاقك وتعاملك مع الناس .

وإذا أردتَ محبةً بينَ الورى

فافشِ السلامَ فإنه نِعمَ الكَلِم

* * * *

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٦٥٥٠) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٦٦١).

مشاهد مضيئة ومشرقة

ما أجمل أولئك الذين يحملون آباءهم وأمهاتهم في الطواف على ظهورهم !!

إنه مشهد يحمل في طياته رسالة لكل عاق لوالديه أن يتأمل!!

ما أجمل أولئك الذين يقفون بالتمر والماء يفطّرون به الطائفين والقادمين!!

ما أجمل أولئك العاملين بالبيت الذين يتفانون في خدمة البيت في همة وفرح !!

ما أجمل رجال الأمن حين يقفون الساعات الطوال في خدمة وفود الرحمن وراحتهم بنشاط وسرور!!

إنها صور من روائع الأخلاق، وجميل البذل، والتفاني، والعطاء، وتحقيق مقامات العبودية لله، وتعظيم البلد الحرام.. هنيئاً لهم تلك الفضائل، والأجور، والدعوات.

إنها مفارقات بين قلوب امتلأت بالإيمان، وقلوب تنكرت لنداء الرحمن، ولبت داعي الشيطان.

العمل التطوعي

ربّى وعلّم رسول الله ﷺ صحابته وأمته على العمل التطوعي والإحسان إلى الناس، يظهر ذلك جلياً في الحياة العملية في حياته ﷺ وصحابته .

❋ العمل التطوعي من أسمى الأعمال وأفضلها في الإسلام وفي سنة خير الأنام ﷺ ، حثاً وترغيباً وتحفيزاً وفضائل وأجوراً وحسنات وجنات وتوفيقاً وتسديداً في الدنيا والآخرة .

❋ العمل التطوعي قيمة من أرقى القيم المجتمعية ، الإنسانية والأخلاقية ، للنهوض بالأفراد والمجتمعات .

❋ العمل التطوعي من أجمل الشيم والطبائع والمروءات .

❋ العمل التطوعي لا يجتمع مع الكسل وحب الراحة والأنانية وحب النفس .

❋ العمل التطوعي ظاهرة رائعة تعكس صورة المجتمع على أفرده، والأفراد على مجتمعهم .

❋ العمل التطوعي ينبئ عن سمو النفس وجمالها ورقيها وقيمتها وتهذيبها وكرمها وإحسانها .

* ما أجمل تلك النفوس وأعظمها وأسمها ، هنيئاً لها من نفوس سامية وأرواح زاكية وقلوب رائعة .

* العمل التطوعي لا يحده عرق، ولا جنس، ولا نسب، ولا قبيلة، ولا تاريخ، ولا حدود، ولا وطن، ولا شهادة، ولا ثقافة، ولا عمر، ولا وظيفة، ولا نوع، ولا وصف، ولا فروق.

* العمل التطوعي لا يكون فقط في العمل الخيري بل حتى في العمل الوظيفي والنظامي .

* العمل التطوعي بلا حدود .

* العمل التطوعي الناجح لا يجتمع مع الفوضى والتحاسد.

* العمل التطوعي لذة تمتزج بالتعب ، وحلاوة تختلط بالمعاناة.

قال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة:٢).

وقال : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

قال ﷺ : **(لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)**[١] .

قال ﷺ : **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس**

(١) أخرجه مسلم (١٢٩)

الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[1].

قال ﷺ : **(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)**[2].

قال ﷺ : **(صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)**[3].

ورحم الله امرئ صير حوائج الناس إليه ، وطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وكل معروف صدقة ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً ، والكلمة الطيبة صدقة ، والإبتسامة صدقة، والله يحب إغاثة اللهفان ، والله رحيم يحب الرحماء، واشفعوا تؤجروا، والبخيل من بخل بجاهه وماله، وأحب الناس إلى الله أنفعهم للخلق.

لذا كان على الدول والمؤسسات والمربين والآباء والأمهات إحياء ونشر ثقافة العمل التطوعي على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة .

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤٢٩) وصححه الألباني في الجامع (٣٧٩٥).

❋ إحياء روح التنافس والإبداع بين أفراد الأسرة والحي والمدرسة والعمل وغيرها صغاراً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً .

❋ العمل التطوعي فيه تربية للنفس على بذل الخير والمعروف والأخلاق والتواضع والإيثار والجد والاجتهاد والتفكير والتخطيط والتنظيم وغير ذلك من المحاسن .

معشر القادة والتربويين والأخوة والبنيين :

تطلعاً وتنافساً وإبداعاً وتفكيراً وبذلاً وعطاء ورغبة في الحسنات وابتغاء الأجر والجنات في مجالات الخير والفلاح .

❋ هلموا هلموا إلى الإحسان والرضوان وجنة الخلد.

❋ هلموا إلى تاريخ حافل وسجل مشرق وعمر مضيء.

❋ هلموا إلى زرع تجدون الحصاد يوم الجزاء والمعاد.

❋ لنعطي أكثر مما نأخذ ، وننتج أكثر مما نستهلك ، ونتعب أكثر مما نرتاح ، والموعد الله وجنة الله، والتوفيق والسداد.

إلهي، إلهي: وفقنا لبذل الخير والمعروف ونفع الناس واجعلنا ممن اصطفيته لقضاء حاجات الناس.

ساعة الرحيل

• في المسجد الحرام في كل صلاة نودع إخواناً لنا في آخر محطة في هذه الدنيا، وأول محطة من محطات الحياة البرزخية.

في كل صلاة نصلي على الجنائز، تتأثر القلوب، وتذرف الدموع، ونحدث أنفسنا بالتوبة، والرحيل إلى الدار الآخرة.

نُـــراع إذا الـجـنـائـزُ قابلتنا
ونَـلـهـو حـيـنَ تَـخـفـى ذاهـبـاتٍ
كَـروعـةِ ثَـلّـةٍ لـمُـغَـار ذِئـبٍ
فـلـمّـا غـابَ عـــادتْ راتـعـاتٍ

• تذكر الموت، والدار الآخرة، والقدوم على الله عز وجل، وأن كل إنسان ستعرض أعماله على الله.. فلابد من تذكر هذه الحقيقة، فإن ذكرها يضع حدوداً حاسمة، لشتى أحوال الحمق، والغرور، والظلم، والبغي، والعدوان ونزعات الشيطان وحظوظ النفس، والاستطالة التي تطيش بالعقول، إنه يدفع للأمام بهمة وثابة، للترقي في مدارج الخير والفضيلة .

ولامستراح للعبد إلا تحت شجرة طوبى، والراحة عند

أول قدم في الجنة.

إن للمؤمن شغلاً بمستقبله الأخروي، والإعداد له في هذه الدنيا، وعلى الإنسان أن يبتعد عن كل مايكدر، ويعيق الرحلة إلى الآخرة، فإن أعظم ما يملك الإنسان في هذه الدنيا دينه وأخلاقه.

لو استخبر المنصف العقل والنقل لأخبراه أن الدنيا دار مصائب، وشرور، ليس فيها لذة على الحقيقة، إلا وهي مشوبة بكدر، فما يُظن في الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب.

إنها دار فناء لا بقاء ، ورحيل لا قرار، والعاقل من تدبر واعتبر، واستعد للسفر .

إلى اللهِ نَشكُو قَسوَةً في قُلُوبِنَا
وَفي كُلِّ يَومٍ وَاعِظُ المَوتِ يَندِبُ

أخلاقيات

إنه بالأخلاق يسار بالقلوب إلى علام القلوب..

إنه بالأخلاق يسار بالنفوس لما يرضي الملك القدوس..

إنه بالأخلاق دخلت أمم وأفواج في ملة الإسلام..

إنه بالأخلاق نكون دعاة صامتين..

إنه بالأخلاق نلقي دروساً، وغرساً في قلب كل مسلم، بل حتى الكافر..

وما المرءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفسَه

ففي صالحِ الأخلاقِ نفسكَ فاجعلِ

إننا بحاجة إلى التحلي بجميل الفعال، ونبيل الخصال، وعالي الخلال، حتى نترقى إلى سماء التعامل، وقمة الأخلاق..

إننا بحاجة إلى وحدة الكلمة، وارتباط الصف، والاتصاف بالرحمة والشفقة، والعطف والإيثار..

لماذا نشاهد في حرم الله أدنى خطأ واحتكاك يولد الصراع والخلاف والنزاع وارتفاع الأصوات؟!

يا أهل القران ويا أمة الإسلام:

أروا الناس من أنفسكم أخلاق القرآن، ومحاسن الإسلام..

يا أتباع محمد ﷺ: لنكن للعالم أنموذجاً حياً، وواقعاً عملياً، لنبي الهدى محمد ﷺ يوم قال: **(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[١].

وإنما الأمـمُ الأخـلاقُ ما بقيتْ

فإن هموا ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

قال ﷺ: **(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)**[٢].

وقال: **(إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار)** [٣] وقال: **(أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)** [٤] وقال: **(ليس شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق)**[٥].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢) وصححه الترمذي برقم (١١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٤٥٩٥) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٩٥).

(٤) أخرجه أبوداود برقم (٤٨٠٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٣).

(٥) أخرجه أحمد برقم (٢٧٥٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٣٩٠).

يا أمة الأخـلاق: إن كثيراً من الناس يملكون أعلى الشهادات، ويحوزون كثيراً من الأموال، وبعضهم يسحرك بمظهره وثقافته، وآخر: يبهرك بفصاحته وبيانه وابتكاراته، وآخر: بقدراته وذكائه ودهائه، ولكن حين أدنى شرارة وزلل وخلاف، وحين المواقف الحساسة والحرجة سرعان ما تنقلب الحقائق: فتفتقد الأخلاق، وتنسى الآداب، ويظهر الزيف، ويتمثل الصنم الجاهلي: في العصبية، والحمية، والافتخار، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والطعن في الأنساب، والتحاكم للعادات والتقاليد، لا إلى الإسلام، والدليل، والعقل السليم.

إن الخلق الحسن لغة تفهمها كل الجموع، وإن اختلفت ألسنتها، فهو ينطق بغير لسان، ويدخل إلى الجنان بدون استئذان، سلاح تكسب به الأعداء، وتزداد به حباً عند الأصدقاء.

هو غرس تقبله كل أرض، ويحفظه كل قلب، وينصت له كل أحد..

إن الحضارات المادية تسقط، وتزول، وتبقى حضارة القيم والأخلاق..

ماذا تنفع الإنجازات المادية، والشهادات العالمية، والمناصب، والقنابل، والطائرات، والاكتشافات، والصعود إلى سطح القمر؟! وما

تغني الأموال إذا كانت الأخلاق صفراً، والآداب والتعاليم هباء؟!

إن أعظم إنجازات تبنيها الأمم لشعوبها أن تسخر ثرواتها وقدراتها لبناء القيم والأخلاق في نفوس شعوبها، ومحاربة ما يفسدها، ولو كان الأمر كـذلك لما احتجنا لكثيـر من الأنظمة، والعدة، والعتاد، ولتـلاشت كثير من الحروب، والصراعات، والسموم، والآفات.

هـي الأخـلاقُ للـدنيـا حيـاةُ

إذا ضـاعـتْ فـأنـذرْ بـالـخـرابِ

إن أعظم حضارة على وجه البسيطة هي حضارة الإسلام، لأن مبناها على القيم، والأخلاق،بل من أهدافها، وغاياتها، تحقيق الأمن، والسلام، للأمم والأفراد.

متى تصل الحال بنا إلى أن نغير واقعنا، وسلوكنا من ذواتنا، دون استخدام أساليب الترغيب والترهيب البشرية؟ فيكون الدافع هدي الإسلام، والعقل السليم، والذوق الرفيع، والفطرة السوية، والإنسانية.

إن سوء الأخلاق والتعامل، سبب في كثير من البلايا، والمشكلات، على المستوى الشخصي، والأسري، والوظيفي، والاجتماعي، بل على مستوى الأمم، والدول.

والحق أن ما في الحياة من منغصات، ومتاعب، يجيء من فوضى الناس، وسوء أخلاقهم، ونزق غرائزهم، وطيش مسالكهم، فالحياة كلها ما أفسدها، وكسف ضياءها، وشاب نعماءها، إلا ركض البشر في جوانبها، ركضاً جنونياً، لا يخضع لشرائع الله، ولا يستقيم مع نصحه وهداه.

لعمركَ ما ضاقتْ بلادٌ بأهلها

ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

جاء رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وفي خطبته العظيمة، أرسى نظاماً، متكاملاً، للأمة المسلمة، بأركانه، وواجباته، يقوم على العبودية لله وحده، ونبذ الشرك والوثنية، وهدم معالم الغلو، والتطرف، والعصبيات، والنعرات الجاهلية، وإقامة العدل، والنصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثهم على الخير، حرصه على نجاة أمته، وتجنيبها الشرور، والفتن، وتحذيره منها ﷺ، وغرس القيم في الأمة، وتوحيدها وجمعها، ونبذ الفرقة، والخلاف، والنصيحة لولاة الأمر بالحكمة، والسمع والطاعة لهم بالمعروف، وعدم التمييز بين الناس إلا بالتقوى، وأصدر تحذيرات عن الظلم، والبغي، والعدوان، وكل طريق يؤدي إلى الاعتداء على الأنفس، والأموال، والأعراض، فكان

أعظم ملك، وقائد، ومعلم، ومفتي، ومربي ﷺ.

حذر ﷺ من الغلو والتطرف قبل الشرق والغرب بأكثر من ألف وأربعمائة سنة فقال: **(إياكم والغلو)** [1]. ثم جاء الجاهل والمكابر وهو على علم ويتهم الإسلام ورسول الأنام بالغلو والإرهاب.

تظهر رحمته ﷺ في تعليم الخلق، وأخذهم للحق، بالحكمة، واللين ،والحلم، وعذر جاهلهم، وعدم التعنيف، والتحقير حين الخطأ، وإرشادهم للصواب، وتطييب خواطرهم، في المناسك واضحة جلية في مواقف متعددة.

أعطى النساء حقوقهن، وعلمهن، وأجاب على أسئلتهن، وما يشكل عليهن من أمر دينهن، وخفف عليهن من الواجبات، بسبب ضعفهن، وكان بهن رحيماً، وأمر، وأوصى بهن خيراً.

رعايته ﷺ لأهله وزوجاته في الحج، وتفقدهم، وتعليمهم المناسك، والصبر عليهم، ومراعاة الضعفة والمرضى منهم، ومواساتهم، والتلطف معهم. فما تضجر، ولا غضب، ولا عنف، بأبي وأمي ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٣٠٢٩)وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

كان ﷺ فعّالاً لما يقول، في عبادته وأخلاقه وسلوكه، فكان هذا من أعظم أسباب نجاح دعوته، وتأثر الناس به، وحبهم له.

القدوة .. القدوة:

إن دور القدوة مهم في حياة الأفراد، والأسر والمؤسسات والجماعات، وما أصيبت دعوة، أو فكرة، أو مذهب بافتقاد القدوة إلا فقدت تأثيرها، وما قدّم صاحب دعوة الدليل العلمي على صحة دعواه إلا بالسلوك ، والقدوة ، وحينئذ يقتنع الناس، وتصبح واقعاً سلوكياً في حياة الناس، ولعل من الحكمة: بعث الله الرسل مع الكتب، ولم يكتف بالكتب فقط لأجل التأثر بالاقتداء، فكان خير مثال يُحتذى ﷺ .

وما أصيبت مجتمعاتنا الإسلامية في صميمها إلا حين افتقدت القدوة في كثير من قياداتها.

إن القدوة ترجمة عملية، وواقعية، للمبادئ، والأفكار، تستطيع أن تجمع الناس على المُثُل العليا.

إن مجتمعاتنا تشكو من فقر خُلُقي، وحضاري، نتيجة لافتقادها للقدوة الصالحة، ولو صحت عزائم الناس لأصبح كل واحد منهم قدوة في مجاله، ولتحولت الأفكار إلى واقع، عملي، مؤثر، ولكن وللأسف مازلنا نعيش مرحلة اجترار

المبادئ بدون فعالية إلا من رحم ربي .

إنه يوم أن توجد القدوة في أي بيئة نستطيع أن نملك السمو في الأخلاق، والارتقاء، في الحضارة.

إنه بقدر القوة والضعف يكون الأثر سلباً وإيجاباً، وعلى قدر ثقافة، ونجاح، وسمو الحكام والرؤساء والمسؤولين والأساتذة والمعلمين والآباء والأمهات يكون أثر ذلك على الشعوب والمجتمعات والطلاب والأولاد .

غيرُ تقيٍّ يأمرُ الناس بالتُّقى
طَبيبٌ يُداوي الناسَ وهو مَريضُ

يقول ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر.

لا يكون المقالُ إلا بفعلٍ
كلُّ قَولٍ بلا فعلٍ هَباءُ

ولكن التقصير الواقع من القدوات لايكون مبرراً، لأن نتنكب الطريق، ونضعف في أخلاقنا، ومبادئنا، ولايكون حجة لك في الدنيا والآخرة إذا عرفت الحق.

فكلٌ مسؤول عن نفسه، ويحاسب على عمله في الدنيا والآخرة.

الأطفال أكثر ما يحتاجون إلى القدوة لا إلى الانتقاد .

من عوّد أولاده على الأخلاق فقد ترك لهم ميراثاً عظيماً، وهو أعظم الميراث.

إنجازات الدول :

إن أعظم إنجازات تبنيها الأمم لشعوبها أن تسخر ثرواتها، وقدراتها، وطاقاتها، لبناء القيم، والأخلاق، في نفوس شعوبها، وعقولهم.

إن أعظم حضارة على وجه البسيطة حضارة الإسلام، لأن من مقاصدها، وغاياتها، بناء القيم، والأخلاق في النفوس، وتحقيق الأمن والسلام للأمم والأفراد، (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[1]، وقال (**بعثت بالحنيفية السمحة**)[2].

ما رصيد الدول العظمى في القوة والعتاد من المبادئ والقيم؟

قوة ا لإسلام :

إن الإسلام قوي بمبادئه ، ومقاصده، ولذا كان عمره وامتداده أطول وأعظم من كل قوة وحضارة، لأن قيمه بجميع

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن (٢٠٧٨٠) وصححه السخاوي في المقاصد (٢٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٢٩١).

أنواعها تستقيم مع العقول، والفطر السوية، وتبنيها، وتحافظ عليها، بل إن الغرب يكتشف ما اكتشفه الإسلام في أدق جوانب الحياة، ثم يؤيِّد بدراساته تلك التعاليم الربانية، والنبوية، وانظر معدلات نسبة الجريمة في دول التقدم، والنهضة، وهي تتصاعد يوماً بعد يوم.

إن الرسول ﷺ بنى هوية عظيمة متكاملة في جميع مناحي الحياة خلال ثلاثة وعشرين عاماً لأمته ، فلم يدع المجال لأحد أن يخترقها، ووضع نظام حماية لها، وحراستها إلى قيام الساعة، لئلا تنالها أيدي العابثين وباعة الأخلاق ومتبعوا الشهوات.

ولنعلم أن إضعاف الهوية الإسلامية أخطر وأشد فتكاً بالأمة من نزع سلاحها.

وإن على الأمة وعقلائها وقادتها أن تقف موقفاً حازماً مع من يبيع دينه وهويته ثم يأتي ويروج لهوية الضياع العقدي والأخلاقي.

عقدة الغرب :

وإنك لتعجب من بعض المغرمين بالغرب حينما ينكرون كثيراً من الحقائق، والخلافات، والتجاوزات القانونية، والفكرية،

والتعصب الفكري، والديني، والمذهبي، والوقائع السلبية، وغير الأخلاقية عند الغرب، سواء عند الرؤساء، أم المفكرين، أم العامة، بل تجدهم يكذبون، ويلّمعون الغرب، ويصفونهم بعكس ما فيهم حتى يقوم أحدهم بترويج أفكاره، وآرائه من خلال ذلك المديح، وإن ضاق به الإنكار التمس لهم المعاذير، أو لزم الصمت، وفي المقابل يظهرون النقد الملتهب لبلاد المسلمين وعلمائهم ومفكريهم، وقد يتطاولون، فيتهمون الإسلام والمسلمين بذلك، كذباً، وبهتاناً، وزوراً، ولا يظهرون المحاسن، أو يلتمسون المعاذير، ولا يعدلون في القضية، يريدون الطعن في الإسلام والمسلمين، أو يشعرون بالانهزامية، والاعتزاز بالحضارة الغربية.

إنهم لا يقتنعون بالأدلة الشرعية في إثبات كثير من القضايا، إما نفيها، أو عدم صلاحيتها، ولكن حينما تأتي التجربة والحضارة الغربية يسلمون بها، ويخضعون لها، وينادون بها.

إنهم لا يؤمنون بضوابط الحرية في الشريعة، ولكنهم يؤمنون بها في الأنظمة الغربية.

التباكي على الأخلاق أم الاقتصاد ؟

وإنك لتعجب أخرى كل العجب ممن يبكون، ويتنادون بكرة، وعشياً، وليلاً، ونهاراً، وسراً وجهاراً، عقدوا المؤتمرات،

وتسابقوا، وتدافعوا، وتحالفوا، لمعالجة انهيار الاقتصاد، ولكن هل تنادوا، وتباكوا، على انهيار الأخلاق، والقيم ؟

فـطـنٌ بـكـلِّ مُـصـيـبـةٍ في مـالـهِ

وإذا يُـصـابُ بـديـنـهِ لـم يَشعرِ

إن أعظم خسارة، وانهيار، وفقر، تحل بالشعوب، والأمم، خسارة الأخلاق، والمبادئ، والقيم.

إنها أعظم من انهيار الاقتصاد، والعمران، لأن الأمم تحيا بالقلوب، والأرواح، والعقول.

ما قيمة الثراء، والجاه، والمنصب، والتقدم، والقصور، بدون قيم، وأخلاق؟

كيف تحيا، وتسعد أمة، تعيش في القصور، والتقدم، وهي بائسة، فقيرة، من الأخلاق.

فـإلـى نَـبـعِـنـا يَـسـيـرُ الـعَـطَـاشـى

فـلـمـاذا نَـسـعـى وراءَ الـسّـرابِ

إن الثابتين على الأخـلاق والمبادئ في راحـة من هم الاضطراب وأما المضطربون فهم في قلق وهم دائم.

وإن أعظم ما يملك الإنسان في هذه الدنيا دينه وأخلاقه فيعض عليهما بالنواجذ الشداد.

أيها المسلم: الاعتزاز بهذا الدين واجب ، لأنه من عند الله، ولأنه الحق، ولأنه هدى للمتقين ، وبه سعادة الناس وفلاحهم.

* الاعتزاز بالقرآن والحكم بشريعة الله في الأرض ، وبسنة رسول الله في حياتنا ، وفي مظهرنا ومخبرنا ، ولباسنا ومعاملاتنا .

* الاعتزاز بهذا الدين وبتاريخ الإسلام المليء بالقيم والعدالة والحضارة والطهر والعفاف ونبذ الجهل والظلم ومساوئ الأخلاق .

* لم يعتز رسول الله ولا صحابته بالعربية ولا القبيلة ولا الجاه والبلد ، وإنما صرخوا بها مدوية في الآفاق: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

أيها الجيل المسلم: لا تحزن ولا تقلق لأنك تسير وحدك في طريق الحق والسنة، سواء في أسرتك، أو بيتك، أو بين أصدقائك.

لا تضعف ولا تتبدل وإن تبدل رفقاء الطريق وغيرتهم المثبطات والمتغيرات في زمن الفتن والغربة، والانفتاح، والاحتجاج بالخلاف، وكثرة الأقوال والتشهي في الاختيار .

بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء .

قلوب متعلقة

يا فتى الإسلام: دعنا نحلق أخرى، ونعيش مع أنفس تعلقت بالبيت الحرام، وقلوب عشقت الطواف، ودمعات لطالما سُكبت في الحطيم، وخلف المقام، وأصبحت حمامة من حمام الحرم، وعموداً من أعمدتها، وزهرة من زهرها، وريحانة من ريحانها، فأولهم صفوة الخلق وسيد البشر ﷺ فقد تعلق قلبه بالبيت، وحينما اشتد أذى قريش له، وضاقت به الأرض، وأذن له بالهجرة، فخرج منها، وهو يحمل اللوعة بين ضلوعه، فلما عاد إليها، ودخلها وقف على الحزورة[١]، وقال بكل حزن وأسى: **(والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت)** [٢] وقال: **(ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)**[٣].

---

(١) الحزورة : الرابية الصغيرة . وفي الاصطلاح المكي هي : سوق عند باب الوداع أو هي ما بينه وبين باب سيدنا إبراهيم ، وهي مبدأ سوق الصغير المعروف سابقاً .

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٨٧١٥) وصححه الترمذي برقم (٣٩٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي وصححه برقم (٣٩٢٦).

قال محمد بن الحنفية لأبي الطفيل: (الزم هذا الحرم ، وكن حمامة من حمامه).

محمد بن أحمد الحجازي كان جميل المعاشرة، ويلقب بحمامة الحرم[١]. وكان محمد بن علي البغدادي يسمى سراج الحرم[٢].

لشدة حبهم الحرم، وتعلقهم به، وجلوسهم فيه، وكانت عادة الصالحين، وعباد الله العارفين إذا دخلوا البيت دخلوه وقد علاهم الذل والانكسار، والمهابة والإجلال.

ويستحب عند رؤية البيت أن يقول: **(اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام)** وورد ذلك عن عمر رضي الله عنه .[٣]

وقد حكي عن امرأة دخلت مكة فجعلت تقول: أين بيت ربي؟ فقيل الآن ترينه، فلما لاح البيت قيل لها: هذا بيت ربك. فاشتدت نحوه فألصقت جبينها بحائط البيت، فما رفعت إلا ميتة، وأن الشبلي: غشي عليه عند رؤية الكعبة ثم أفاق فأنشد:

---

(١) الدر بذيل العقد الثمين للهاشمي ١/ ٢٧.

(٢) العقد ٢/ ١٤٩.

(٣) أخرجه الأزرقي (١/ ٢٧٨) وابن أبي شيبة برقم (١٥٧٥٧) وصححه الألباني في مناسك الحج (ص ٢٠).

هـذه دارهـمْ وأنـتَ محـبٌ
مـا بـقـاءُ الـدمـوعِ في الآمـاقِ

ورد أن السائب بن عبدالله بن السائب نزيل مكة، كان من كبار المتحلين بالعلم والعمل والزهد، وكان كثير الطواف، حتى قيل إنه لا يكاد يوجد إلا فيه، وفي يوم من أيام رمضان خرج من المطاف ثم جلس في موضع عند باب إبراهيم فدعا بفراش واستقبل الكعبة ففاضت روحه لباريها، فما أعظمها من حسن خاتمة[١]، وأما نصر بن محمد الهمذاني إمام الحنابلة بالحرم من علماء الحرم، كان مديماً للصيام والقيام، يكثر الطواف والعمرة في حر الهواجر، حتى إنه كان يطوف في كل يوم وليلة سبعين مرة، فلما عجز وضعف أصبح يطوف متكئاً على عصا[٢]، وكذا روي عن محمد بن طارق أنه كان يطوف في اليوم والليلة سبعين مرة[٣]، ومحرز بن سلمة المكي حج ثلاثاً وثمانين حجة[٤]، وناصر بن عبدالله العطار حج أربعاً وستين حـجة كان يسمى معبداً لكثرة عبادته، يصحب أهل الفضائل، ويلازمهـم للإفادة والاستفادة .

(١) العقد ٤/ ٥٠٤
(٢) العقد ٢/ ٣٠
(٣) العقد ٧/ ٣٣٣
(٤) العقد ٧/ ١٣٥

إنها مناقب فأين عاشقها

لا يَرتقي دربَ المكارمِ تافهٌ
أو يبلغَ العلياءَ يومًا خاملُ

***

مضى السلفُ الأبرارُ يَعبقُ ذكرُهم
فسيروا كما ساروا على البرّ واصنعوا

فلنقتد بسيرتهم، ونسلك طريقتهم، ونقتفي أثرهم.

يا لله ما أعظم البون بيننا وبينهم؟!

يا لله ما هو الهم الذي نحمله، وما الهم الذي كانوا يحملونه؟!

علموا وأيقنوا أن سلعة الله غالية..

علموا وآمنوا بأن النعيم لا يدرك بالنعيم..

وإن من السابقين واللاحقين من المؤمنين من يحرص على صلاة الجماعة بالمسجد الحرام، وترجم جمع من المؤرخين لكثير منهم، ومن ذلك أحمد بن محمد الكيلاني وجمع من المعاصرين[1].

ومن النساء أم هاني ابنة علي القرشي، وهو بيت علم، وصلاح،

(١) الدر الكمين بذيل العقد الثمين للهاشمي ٣/ ١٦٢٢.

وأقبلت بعد وفاة زوجها على العبادة، والبر للفقراء، كثيرة الصلاة، والطواف، والعمرة، ملازمة للصلاة بالمسجد الحرام[1].

أحد علماء الحرم منذ أكثر من ثلاثين سنة، وهو يدرس بالمسجد الحرام، ومنذ خمسة عشر عاماً يصوم يوما ويفطر يوماً ولا تفوته صلاة المغرب والعشاء في المسجد الحرام ودرسه مستمر عدا أيام الحج يكون في المشاعر ويومي العيد .

وآخر يدرس في المسجد الحرام منذ أكثر من خمسين سنة ما تخلف إلا من مرض أو سفر.

إنها منح إلهية، ونعم ربانية، وهداية قدسية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

إنها نفوس من أسعد الناس بالحياة، لأنها تحمل بين جنبيها قلباً ينبض بالعطاء لأمتها، وتحمل بكفيها غراس الخير تسقيها بهمتها، فطوبى لها.

إنها صور حية مازالت تمشي على الأرض، نراها كل يوم، فبذكرهم يرتفع الإيمان، ويطرد الكسل والشيطان، وتشحذ الهمم، ويتجدد النشاط، وتسمو القلوب، ويحتقر المرء عمله ونفسه.

---

(١) الدر بذيل العقد الثمين للهاشمي ٣/ ١٦٢٢.

فهلم هلم لزيارة العباد والصالحين، والعلماء الربانيين.

وورد أن محمد بن يونس قال: (ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين)[1].

وأُنسنا بجوارِ البيتِ منزلةٌ

أغلى من الدرِ والياقوتِ والذهبِ

معشر المسلمين: إنها صفحات مطوية، في بطون الكتب والأسفار، انشغل عنها الصغار والكبار، بجدل عقيم، وهراء أثيم، وقلم مسموم، من كاتب جاهل، أو مقلد يشعل النار الحميم.

فهل من رجل حكيم من مليار مسلم ونصف المليار يخرج الأمة من واقعها الأليم، يفرق بين الحاء والخاء والجيم ، ويتصدى لكل فرية وكاتب مفتون؟!

من ينقذ العالم من حيرته؟ من يعيد للمسلمين عزتهم، وقوتهم، وهيبتهم ؟ من يوحد صفهم ويجمع كلمتهم؟ على الكتاب والسنة والمنهج الصحيح والسلف الصالح.

اقرءوا التاريخَ إذ فيه العِبَر

ضَلّ قَومٌ ليسَ يَدرونَ الخَبَر

---

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام النووي لابن العطار ٢٧.

وفي مقابل تلك النماذج الرائعة، المشرقة، الوضاءة، فئة منا لم تستفد من تلك القدوات المضيئة في تاريخ مكة، والأمة المسلمة، فتنكبت الطريق، وضلت الصراط المستقيم، ولم تعظم المسجد الحرام، ولم تقدره قدره، ولم تعطه حقه، يوم أن أصبح بعض من أبناء المسلمين خواء، وأصغى بأذنـــه للديمقراطية الزائفة، والحرية الكاذبة، المخالفة لشرع الله، يسموننا العالم الثالث ونسميهم العالم الأول، يصرحون بالعداوة، ونحن نصر على الصداقة، اعترفنا بهويتهم ولم يعترفوا بهويتنا والله المستعان.

لذا أصبحنا نعيش أزمة في ديننا، وأخلاقنا، وسلوكنا، ونحن نسكن بلد الله، ونرتاد بيته، وحرمه، للعمرة، والصلاة، في أعظم البقاع، وتحملني قليلاً إن كدرت خاطرك، وصفوك، لكنها حقيقة ليس لنا أن ننكرها، أو نتجاهلها، بل نذكرها، ونعالجها، ونتواصى، ونتعاون في حلها، في وسطية، واتزان.

نريد أن نكون إيجابيين، لا سلبيين، ومتعاونين، لا متفرقين، ومتناصحين، لا متفاضحين، فكل واحد منا مسؤول، وكل واحد منا على ثغرة معشر المسلمين، فهذه قبلة المسلمين.

فليس في حياة المؤمن فراغ للنقد غير البناء والاستماع إليه.

ليس في حياة المؤمن فراغ لمصاحبة المنشغلين بالآخرين على

غير هدى وتقى.

ليس في حياة المؤمن فراغ لمجالسة الكسالى، واليائسين، والفارغين، والمتشائمين، والمثبطين والمتضجرين.

ليس في حياة المؤمن فراغ للجلوس مع الوشاة، والمغتابين.

فسرعان ما ينتقل الداء، ويستفحل الوباء، ويموت الجسد، وتغرق السفينة، والحل:

هلم هلم، إما إلى النصح، وإما الهجر، والعمل.

وقد قيل احذر مجالسة العاجز، فإنه من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده من جزعه، وعوّده قلة الصبر، ونسّاه ما في العواقب من الغنائم، وليس للعجز حق إلا الحزم والجزم والعزم.

وقال الشافعي: احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس.

لنفسيَ أَبكيْ لستُ أَبكي لغيرِها

لنفسيَ منْ نَفسيْ عنِ الناسِ شاغلُ

قدوات نسائية

وكما أن للرجال قدوات فللنساء صفحات، فهذه حسنة بنت محمد الحسنية، لها اهتمام بالحديث ومروياته، وتلك خديجة بنت الشيخ شهاب الدين العقيلي، كانت ذات حشمة ومروءة، كانت من الفضل والعلم بمكان شهير، والدين والصلاح بمكان كبير، كانت كثيرة التعبد، وقيام الليل، ملازمة للذكر، تاركة لما عليه غالب النساء[1]، والخيزران أم الخليفتين قامت ببناء مسجد بمكة، ومازالت دور الفتيات بمكة تخرج الحافظات للقرآن، وطالبات العلم منذ سنوات.

هم سادةُ الدنيا السّراةُ وقدوةُ الـ

ـعلمِ الأماجدُ والمآثرُ تَشهدُ

(١) العقد ٨/ ٢٠٦.

صاحبة النقاب

قل للمليحةِ في الخمارِ الأسودِ
ماذا فعلتِ بناسكٍ مُتَعبِّدِ
قد كان شمَّر للصلاةِ إزارِه
حتى وقفتِ له بِبَاب المسجدِ
ردّي عليه صلاتَه وصيامَه
لا تفتنيهِ، بِربِّ دينِ محمدِ

عزائي للمنشغلات بالأسواق، والقيل والقال، جل وقتهن، غير مغتنمات، لأفضل الأماكن والأوقات.

عزائي لمضيعات الأوقات، والحسنات، في أطهر البقاع .

يا ابنة الإسلام:

* ما أجمل أن تكوني قدوة صالحة ومؤثرة في أسرتك ومجتمعك وبين المعتمرات والزائرات، أنموذجاً راقياً، سامياً، يمثّل الإسلام في أحسن تعامل، وسلوك، ولباس، فأنت ابنة الإسلام، والايمان، وأنت محل نظر، واقتداء.

* لتكوني رمزاً للفضيلة، والأخلاق، والسلوك، والآداب.

❋ إذا خرجت لبيت الله وكعبة الله فليكن ذلك في عفاف وستر وحياء، لئلا تَفتني وتُفتني، وكوني معظمة لحرمة هذا البيت الحرام.

❋ إذا خرجت للمسجد الحرام فليكن مبكراً، وإذا خرجت منه فليكن متاخراً، بعداً عن مزاحمة الرجال أنقى لقلبك، وأحفظ لدينك، وأسلم لراحتك وطمأنينتك.

❋ ما أجمل أن تجتنبي أماكن الزحام، ومصليات الرجال.

❋ ما أجمل أن تجتنبي الزينة، والتطيب، ولبس النقاب، بما يثير الفتنة.

❋ ما أجمل أن تجتنبي الدخول والخروج من أبواب الرجال، وتتحيني الأوقات التي لا يوجد بها زحام للطواف.

❋ استمعي لحلقات العلم ودروس العلماء، واسألي عما يشكل عليك من أمر دينك.

❋ تزودي وانتفعي من الكتب التي توزع بالمسجد الحرام، واحمليها لأسرتك، وأهل بلدك، فرُبّ منتفع بها، ينقذه الله بها من الضلال والنار، إلى الهدى والجنة، ومن البدعة إلى السنة، ومن المعصية إلى الطاعة، وأنت السبب.

يا فتاة الإسلام :

* ما عهدناك إلا أنموذجاً سامياً، متألقاً، لأنك ابنة الإسلام، وبه عزك وفخرك، به فلاحك، ونجاحك، وسموك.. فما أجمل، وأسمى، حجابك، وعفافك وحياءك !؟

إن الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق..

فيا أبطالَ أُمتّنا تَنادوا
لإيقاظِ الرّقُودِ مِنَ الرّقُودِ
أَرومُ لأُمّةِ الإسلامِ مَجداً
بناهُ الأكرمونَ من الجدودِ
بشائرُ النصرِ في الحقِّ لاحتْ
كتابُ اللهِ يَنطِقُ بالوعودِ

يا صاحب الفندق

كن خير معين لتعظيم البلد الحـرام في نفوس زواره، ومرتاديه:

* بتهيئة الجو الإيماني، والعوامل المساعدة، للإقبال على الله، والعمل الصالح، وحسن الاستقامة، وزيادة الإيمان.

* اغرس في قلوب الموظفين والعاملين تعظيم وفد الله وزواره ومعاملتهم بالحسنى.

* اجعلهم صورة حسنة للإسلام ، وأهل البلد لحرام ، في أعين وقلوب مرتادي الفندق.

* خدمة ضيف الله على أكمل وجه والتفاني في ذلك من أعظم وأسمى الشرف.

* ليكن من مشاريعك هدايا للنزلاء ولو قليلة الثمن كم ستدخل بها كثيراً من الفرح والسرور؟!

* كم ستنال من الأجر حين تحسن تعاملك مع النازلين؟ لا يكن النظر إلى المال فقط.

التاجر المكي

معشر التجار:

إن أي إنسان يريد أن يقيم مشروعاً استثمارياً، أو تجارياً، أو سكنياً، أو تسويقياً، أو طبياً، أو في أي مجال من مجالات الحياة في مكة، عليه ألا ينسى أنه سيقيمه في مكة، في بلد الله، في مهبط الوحي، والرسالة، في بلد الصحابة.

فيكون مشروعاً، محافظاً، مراعياً به حرمة الكعبة، ومكة، لا سافكاً لحرمتها، وعابثاً بقيمها وآدابها.

معشر الموحدين من مكيين ومقيمين ووافدين:

نريد البلد الحرام والمسجد الحرام بلداً كما أراده الله..

بلداً آمناً مطمئناً..

بلداً طاهراً من كل رجس ونجس.. بلداً حراماً..

بلداً للعبادة ليس للسياحة، فشمسها محرقة، وجبالها سوداء، وأوديتها مقفرة، واد غير ذي زرع، فما أرادها الله بلداً للهو والسياحة.

بلداً يسير وفق شرع الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بلداً يحمل رسالة الإسلام والسلام والتوحيد والعدل والتسامح .

بلداً يحمل أنموذجاً يحتذى، ومثالاً يقتدى ، وشاهداً للإسلام والمسلمين..

بلداً يجسد حضارة الإسلام والمسلمين في التقدم والرقي والتنظيم والعمران..

رسالة المطوفين

معشر المطوفين: إنكم تشكرون على ما تبذلون، وتسهرون، وتقدمون، لوفد الله، وهنيئاً لكم، ثم هنيئاً، خدمة الحجيج، والأجر العميم، والثواب الجزيل، كم سترفع لكم من الدعوات إن أحسنتم وبذلتم وأخلصتم؟ وهي منقبة ومكرمة وشرف، والأخطاء واردة ولكن من الجميل جداً أن نعيش دائماً في معالجة الأخطاء والترقي بمستوى الطوافة إلى الأفضل والأمثل، ولتحتسبوا ولتصبروا وما عند الله باق (**العمار والحجاج وفد الله، دعاهم فأجابوا وسألوه فأعطاهم**)[1].

فهنيئاً لكم دعواتهم واستغفارهم، واحذروا دعاءهم وظلمهم وحاشاكم ذلك.

أيها المطوفون: وجهوهم، علموهم، ذكروهم، فالوفود أمانة في أعناقكم، ومناسكهم أمانة في أعناقكم تسألون عنها يوم القيامة، فلنؤد الرسالة دون تساهل.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٨٩٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٢٠).

جدد حياتك

يا من قدمت الحرم ويا أهل الحرم : كلنا صاحب تقصير وتفريط فلنجدد التوبة والعهد مع الله من جوار كعبة الله، فلترق الدموع، ولتسكب العبرات، وترفع الدعوات، وتعلن التوبات.

إليكَ إلهي قد أَتيتُ ملبيّا
فبارك إلهي عُمرتي ودُعائيا
قصدتُك مضطراً وجئتُك باكيًا
وحاشاكَ ربي أن تَرُدّ بُكائيا
أتيتُ بلا زادٍ وجودُكَ مَطعمي
وما خابَ مَنْ يَهفو لجودكَ ساعيًا
إليك إلهي قد حضرتُ مُؤمّلاً
خلاصَ فؤادي من ذنوبي مُلَبيّا

إن كثيراً من الناس حينما يدخل الحرم يشعر بندم، وشعور داخلي يخالجه في الرغبة في تصحيح المسار، وتأخذه الفكرة، والعبرة، والمحاسبة.

يشعر براحة، وطمأنينة، ونشوة إيمانية، تدفعه لتجديد

الحياة، والزيادة في الصالحات، فتجد البكاء، والتضرع، ورقة النفس، والتفكير.

إن كثيراً ما يحب الإنسان أن يبدأ صفحة جديدة في حياته، ولكنه يقرن ذلك: بحدث كموت أحد، ومرض، وموسم فضيل كرمضان والعمرة والحج، وعام جديد، وإن كان هذا لا يأخذ جانب المدح مطلقاً.

إن النفس لها إقبال وإدبار، ولها روافد مساعدة على ذلك، فتستغل في تجديد الحياة، ومحاسبة النفس ، ومن ذلك العمرة إلى البيت الحرام، قال ﷺ: **(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما)**[1]، وقال: **(عمرة في رمضان تقضي حجة معي)**[2].

إن هذه الأحاديث وأمثالها، جرعة تحيي الأمل في النفوس المخدرة، وتنهض بالنفوس الغافية، وهي خجلى، لتستأنف السير إلى الله ولتجدد حياتها بعد ماض ملتوٍ مستكين.

إن فرحة الرب بعودة كل إنسان تفوق كل وصف، قال ﷺ: **(لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن..)**[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣) مسلم برقم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٦٣) مسلم برقم (١٢٥٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٤).

فلنعلن العود والبدء من جديد، ولا نجعلها مجرد زورة خاطفة وسحابة صيف عن قريب تقشع، فسرعان ما ير جع المرء بعدها إلى ما ألف من فوضى وإسفاف، ولا نجعلها مجرد محاولة فاشلة، قابلة للنجاح والخسران بل نريد رجعة صادقة، تحمل عزيمة وانتصاراً على أسباب الضعف والخمول وسَحقاً لجراثيم المعصية وانطلاقاً من قيود الهوى.

نريد استقراراً وثباتاً في مرحلة الإيمان والاهتداء والإحسان.

نريد حياة جديدة بعد بلى ونقلة حاسمة تغير معالم النفس كما تتغير الأرض الموات بعد مقادير هائلة من المياه والمخصبات.

شاب من الشباب في ليلة سبع وعشرين من رمضان وهو يدخل الحرم فيرى ذلك الزحام المهول وتلك الجموع الغفيرة، ما بين طائف وقارئ ومصل وخاشع ومتضرع، فتأخذ تلك المشاهد والجموع بمجامع قلبه وعقله، فيقف مذهولاً مدهوشاً، متسائلاً، ما الذي جاء بهؤلاء؟ ما هذا الزحام؟ ماذا يريدون؟ فيأتي داعي الخير ويجيبه بجواب يثير في نفسه تساؤلات ويجعله يقف مع نفسه وقفات ووقفات...

إنهم جاءوا يطلبون رضا الرحمن.. إنهم جاءوا يرجون الجنان..

إنهم جاءوا من أقاصي البلدان يرجون العتق من النيران..

إنهم جاءوا وكلهم وجل وخوف من الديان..

فيجيب نفسه أهم في ما هم فيه، وأنا في ضياع وبعد وخسران ؟!!

أهم في ما هم فيه وأنا في بحر الظلمات؟!!

أهم في ما هم فيه من عظيم الأنس والسعادة وأنا في الضيق والشقاء؟!!

فيعلنها توبة، وندماً، وعزماً، وإقلاعاً.

إليكَ إلهي قد شددتُ رِحاليا
وأقبلتُ في شوقٍ أبثُك مابِيَا
أتيتكُ بعدَ اليأسِ أدنو مُلبيَا
إلى العفوِ ضَمآنًا إلى الصفحِ صاديا
فلما استبدّ اليأسُ واستحكمَ الهوى
قصدتُك يا مولايَ أطوي الفيافيا
أتيتُ إلى أفياءِ بيتك علّني
أُريحُ ضَميري من عناءِ شَقائيا
فلبيكَ ربُّ البيتِ لبيكَ ما سرى
إلى البيتِ عبدٌ من عبيدكَ عَانيا

رأى كـلَّ بـابٍ غيرَ بابكَ موصدا
فـآب إلـى أعـتـابِ بـابـكَ ثـاويـا

معشر الشباب والفتيات:

معشر الأخوة والأخوات: إن البعد عن الله لن يثمر إلا علقماً، ومواهب الذكاء، والقوة، والجمال، والمعرفة، تتحول كلها إلى نقم، ومصائب، عندما تعرى عن توفيق الله، وتحرم من بركته. فهلم، هلم، هديت، ووقيت، وكفيت، وعن الشر، والشيطان، نحيت.

إن النفس التي لا تتألم لا تستطيع أن تحلق في سماء الإيمان، والعبودية، والأخـلاق، والإنسانية، بل عيشها بين المهانة، والصخور، والحفر، والله المستعان.

مشاعر مودع

تعال وشاهد حالهم حين الوداع، وبعد الوداع، حزن وأسى، فقد أودعوه الأرواح ورحلوا بالأشباح، الضلوع تتقد، والدموع تتطرد، وحالهم:

بالله يا صحبي أَنيخوا لحظةً
ولترتووا من نَبعنا الرقراقِ
من نبعِ زمزمَ شربةٌ قدسيةٌ
قبلَ الرحيلِ وقبلِ سوقِ عِناقي
قد أَججتْ تلكَ الرواحلُ لَوعتي
لم يبقَ للصبرِ العظيمِ بَواقي
العينُ جادتْ بالدموعِ تَقرّبًا
والبعدُ زادَ معَ الأَسى أَطواقي
هي حرقةٌ هي لوعةٌ هي زَفرةٌ
هي نارُ قَلبٍ في الضلوعِ سَتستعرْ
هي دمعةٌ في العينِ قد جادتْ بها
كالغيثِ هَطّالاً بماءٍ مُنهمرْ

إنّـا نَـعِـمنِـا بـالـمـقـامِ بِـأَرضـهـا
ودَنـا الـفـراقُ فـهـذه الـدّنـيـا غِيَر
يـا عـاذلـي في حـبّ مكة والـهـدى
قَلبي تعلّقَ بالمشاعرِ ما اصطبرْ
وتَـعـلـقـتْ كـلُّ الـنـفـوس بحبها
شَـغـفَ الـفـؤادُ بها فليس بمنتهر

ولو شهدت مشاهد التوديع وكلمات الفراق..

لعلمتَ أنّ من الـدمـوعِ مُحدّثًا
وفهمتَ أن من الحديثِ دموعًا

إنها مشاهد من تعظيم البلد الحرام... إنك لتشاهد الدموع والعبرات والأيادي ضارعة حين مغادرة البيت .

أُودعـكـم وودعَـكـم جَـنـانـي
وأَنـثـرُ عَـبـرتـي عـبـرَ الـجُـمـانِ
وقـلـبـي لا يـريـدُ لـكـم فِـراقـًا
ولـكـن هـكـذا حـكـمُ الـزمـانِ

تنبيه: نشاهد بعض الناس حين الوداع والخروج من الحرم يمشي إلى الخلف ووجه نحو الكعبة يعتقد استحباب ذلك ، وهذا من البدع .

خدمة البيت شرف لنا

خدمة البيت وزواره ورواده من أعظم القربات وأشرف الطاعات، ولك أن تتأمل تلك الفضائل العظام وأعلى الدرجات المقام في تطهير البيت والإحسان إلى الناس وقضاء حوائجهم، فقد ورد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : أن امرأة كانت تلقط القذى من المسجد فتوفيت فلم يؤذن النبي ﷺ بدفنها قال النبي ﷺ : «**إذا مات لكم ميت فآذنوني وصلى عليها وقال إني رأيتها في الجنة**»(١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**أن امرأة سوداءَ كانت تقم المسجد ـ أي تنظف المسجد ـ فماتت ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها بعد أيام فقيل له إنها ماتت فقال عليه الصلاة والسلام فهلا آذنتموني فأتى قبرها فصلَّى عليها**»(٢)، وذلك لعظم العمل الذي كانت تقوم به، وهو تنظيف المسجد.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم (١١٦٠٧) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٦٧١٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٥٨) ومسلم برقم (٩٥٦).

يامن شرفك الله بخدمة بيته :

الصبر، الصبر، والرفق، الرفق في معاملة الناس وتوجيهم، واحتساب الأجر في ذلك، وإن وجد منهم جهل، فلطف، وابتسامة، وكلمة وإحسان، وتوجيه منك إليهم، تسعدك، وتسعدهم، في الدنيا والآخرة، فلا تشقى بعدها أبدًا، وقد جمعتَ شرفَ الزمان والمكان، فَثلّث بها شرف حُسن الخلُق.

كم بسمةٍ فتحتْ قلبًا وقد عجزَت

عن فتحه صرخاتُ الشّعرِ والخُطب

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(لو يعلم المقيمون ما للحجاج عليهم من الحق لأتوهم حين يقدمون حتى يقبلوا رواحلهم لأنهم وفد الله من جميع الناس)**[1].

نشاهد ولله الحمد نماذج رائعة، مشرقة، مضيئة، تبذل أنفس وقتها، وعمرها، إجلالاً، لهذا البيت العظيم، وإكرامًا، لزواره، ومرتاديه.

الكلُّ قد عاهدَ الرحمنَ مرتجيًا

منه الجزاءُ وبالرحمنِ قد وثِقوا

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب برقم (٣٨١٥).

فبارك الله مَنْ جَادوا ومَنْ بَذلوا
وبارك الله مَنْ للخيرِ قد خُلِقوا

لنكن قدوات مشرقة، وصوراً مضيئة، للعالمين، من هذا البلد الأمين:

تصحيحًا للتوحيد، والمعتقدات، والعبادات، والأخلاق، والآداب.

الآذان صاغية، والقلوب مقبلة، والنفوس ظامئة، والجوارح متهيئة، للاقتداء، وقبول الحق، والارتواء به من نبعه الصافي، ومصدره الوافي.

هؤلاء الأمم قدموا إلينا من كل حدب، وصوب، فهل كنا أصحاب رسالة، وهدف، نقدمها إليهم؟ فماذا نحن صانعون؟ هل أحسنّا التوجيه والتعامل معهم؟ هل استشعرنا عظم نظرة الناس إلينا على أننا أهل الحرم، وأحفاد الصحابة، والعلم، والأخلاق، والهدى، والصلاح، أهل التوحيد، والاعتقاد الصحيح؟

كفى شرفًا أنّي مضافٌ إليكمُ
وأنّي بكم أُدعى وأُرعى وأُعرف

بالأخلاق نكون لله معظمين وطائعين ولرسوله ﷺ مقتدين ومتبعين .

بها تعلو النفوس وتسمو وتهذب وتطمئن وتزكو .

بالأخلاق يسار بالنفوس لما يرضي الملك القدوس، وبالقلوب إلى علام الغيوب .

بها نكون دعاة صامتين وفي الناس وممن حولنا مؤثرين.

فـهـو الـنـبـي مـحـمـد بـسـمـاحـةٍ

مَلكَ القلوبَ وقادَها نحو القِمَم

بالأخلاق ننطق بغير لسان، وندخل إلى كل جنان دون استئذان.

بها نكون نوراً وضياء وهدى نمشي على الأرض، وبها انتشر الإسلام في كل مكان.

بها ﷺ سحر القلوب وكسب النفوس وقادها لدين الله.

إن خدمة البيت، ووفوده، شرف، وسؤدد، وفخر، وعز، وسيادة، وريادة.

من أجلّ الأعمال العمل في حرم الله.

من أعظم الحراسات حراسة بيت ملك الملوك.

فأنت لا تعمل عند فلان أو فلان إنما تعمل عند ملك الملوك وفي خدمة بيت رب العالمين.

فهنيئاً لكم ثم هنيئاً، عدد زواره، ورواده، وعدد حمامه، وذرات هوائه.

كفى وألف كفى

يا زهرة الوادي ويا زينة النادي:

إن في أنفسنا وأمتنا من الجراح والأدواء والهموم، ما يكفينا عن التلاوم والبكاء والعتاب والعويل وسوء الظن وتصيد الأخطاء والنقد غير البناء وضياع الأوقات في المترفات وكثرة الخلافات.

إن البكاء والعويل لا يغني شيئاً، لا يحل قضية ما لم يُترجم واقعاً عملياً يسد ثغراً ويلأم جرحاً، كفانا بكاء وخلافاً وعويلاً، كل يبذل ما في وسعه وطاقته والكلمة الطيبة صدقة، وبذل المعروف صدقة، مجالات الخير كثيرة لا يعدها عاد، ولا يحويها كتاب، كل ينفق ويجود بما عنده مع بذل التعاون والتناصح، وكل يبعث في الآخر روح العمل، والأمل لا الإحباط والكسل والملل.

يا أمل الأمة: السفن آمن ما تكون في المرفأ، لكنها لم تصنع لذلك، والرجال آمن ما يكونون في بيوتهم، ولكنهم لم يخلقوا لذلك، ومن أراد أن يكون له في التاريخ ذكر، وفي الأمة أثر،

فلا مناص من عمل بلا كلل، وعطاء بلا منّ، وتعب بلا راحة، وتضحية بلا تردد، فاحجز لنفسك مقعداً مع صناع التاريخ، ولا ترض بأن تكون على هامش التاريخ، فالأمة مليئة بالجراحات، وتحتاج من كل واحد منا أن يلأم جرحاً، ويسد ثغراً.

لو أن كل واحد من عقلاء الأمة قدم مشروعاً في أي مجال من مجالات النفع، لرأيت عجباً، عجاباً، ولتلاشت كثير من المشكلات، ووجدت الحلول، وزالت العقبات، وارتقى مستوى الفرد، والأسرة، والحي، والبلد، والأمة.

لكن أين الذين يحرقون أنفسهم، ليضيئوا الطريق للأمة، أفراداً، وجماعات؟

أين أصحاب البذل، والتضحية، والعطاء وحمل هم الأمة؟

ليس الحياةُ بأنفاسٍ تُرددها
إن الحياةَ حياةُ الفكرِ والعَملِ

***

والعمرُ مدتُه كمثلِ دراهمٍ
بيدِ الفتى تُقضى بها حاجاتُه
خُسرٌ لذي عقلٍ لبيبٍ مؤمنٍ
وقتٌ يمرُ ولم تزدْ حسناتُه

أيها الأمل:

ومع ذلك كله ففي الأمة، أبطال، ورجال، وأقوياء، وعباقرة، وأشداء، ومفكرون، ومبدعون لكنهم قليل فالمزيد المزيد...

فَكّروا في أُمتِكم وانتبهوا
طَالما كُنتُم جَمالاً للعُصُر
وابعثوا الصحراءَ عزمًا وابعثوا
مرةً أُخرى بها رُوحَ عُمَر

وداعاً:

أيها الزائر والمعتمر..

وأنت تودع أفضل البقاع وأطهر الأماكن، وقد طفت بالبيت، وسحت منك العبرات، وخشع قلبك، واطمأنت نفسك، وبذلت أنواع القربات، وأنبت لمولاك، ورجوت الجنات، وشهدت الجنائز، والأموات، ووقفت مع نفسك، وقفات، ووقفات، وتأملت طويلاً، فأقبل وداوم على فعل الطاعات، واشرح صدرك بالذكر، وبذل الخير للغير، وفعل القربات، ولتكن سامي الأخلاق، ونبيل الفعال، وما كل ذلك

إلا لأننا راحلون إلى القبور، ومسـافرون إلى الدار الآخرة، فهل نحن مستعدون؟

أيها الزائر والمعتمر:

قد استمعت للعلم في جنبات المسجد الحرام، فعد مبلغًا، ومعلمًا، وداعيًا للخير، مصححًا الاعتقاد، والعبادة، لقوم أخطأوا، وجهلوا، بالحكمة، واللين، والموعظة الحسنة، والخلق الحسن، فتنقذهم من الجهل، وتقودهم للجنة، والهدى بإذن الله، فكم سيكون لك من الأجر عند الله؟! واحذر الغلظة فإنها تورث النفرة، وعدم قبول الحق.

أخيراً:

هذه كلماتي وفي النفس أشجاني وأحزاني، هذه حروفي ومازال الحبر في قلمي، اكتفيت بالقلة خشية السآمة والعلة، وأعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من خلل يراه، أو لفظ لا يرضاه، بل المأمول أن يسد خلله، ويصلح زللـه، وأستغفر الله، مما وقع من الذهول والنسيان، وقد جبل عليها كل إنسان، فقلّـما يخلو إنسان من نسيان، وقلم من طغيان، كما أخبر سيد الأنام: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) [1] سائلاً الله أن تسكن الجأش، وتسد الخلة، وأن تكون سبباً في جبر

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٠٤٣) وصححه الألباني في الإرواء برقم (٨٢).

الكسر، واعتدال الميل، واندمال الكَلْم، ومداواة الجرح، وأن ينفع بها من قصد البيت، ونحاه، وأن يبلغه في الدارين أعلى مناه، ومنتهاه.

اللهم اجعلها سبباً ناجحاً، وبلسماً شافياً، وعلاجاً ناجحاً، وابناً باراً، ونوراً في الحياة وبعد الممات، نافعة للعباد والبلاد، والحاضر والباد.

ونسأل الله أن يبلغنا الجنات، وأن يغفر لنا الزلات، وأن يوفقنا لعمل الطاعات، وأن يجنبنا الشرور والفتن، ويصلح لنا الذريات، وأن ينصر كتابه وسنة نبيه وعباده المؤمنين، وأن يرد عن المسلمين كل بلاء وفتنة وأن يجمعهم على الحق.

اللهم صلاحاً وتزكية وطهارة وصفاء لقلوبنا وأرواحنا، ونصراً وعزاً وقوة للإسلام والمسلمين.

واختموا يا من قرى أومن درى

بصلاةٍ للنّبي خيرِ الورى

مع سلامٍ من سَما أُمِّ القُرى

ما دجى الليلُ وما البدرُ سَرى

***

ياربّ صلّ عليه كُلّما صَدَحَتْ

ورقُ الحمائمِ في الإشراق والطَّفِلِ

إن لم أَفزْ بهما أَنشدتُ في خجلٍ
أستغفرُ الله من قولٍ بلا عَملٍ
واجعلْ مقاليَ مضموماً إلى عُمُرٍ
تَرضى به دائماً بالموتِ متصلِ

وإلى لقاء آخر بإذن الله على طريق العلم والنور والهدى يسره الله بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين.

كتبه / فهد بن يحيى العماري
القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة
مكة المكرمة
١٥/ ٧/ ١٤٣٨هـ
البريد الالكتروني :
famary1@gmail.com

إصدارات المؤلف

- حنين الأفئدة.
- فتح آفاق للعمل الجاد.
- في العيد ملل.. فما الخلل؟
- معاناة شاب.
- الابتعاث آمال وآلام وأحكام.
- رحلة النجاح بين الزوجين.
- خالص الجمان في اغتنام رمضان.
- سباق الدعاة لمواكب الحجيج.
- همسات لزائرة البيت الحرام.
- المختصر في أحكام السفر .
- زاد المسافر .
- التحفة في أحكام العمرة والمسجد الحرام .
- زاد المعتمر .
- بغية المشتاق في أحكام جلسة الإشراق .

-سلوة الفؤاد في آداب وأحكام الحداد .

-الرد على من أجاز للمسلم حضور أعياد الكفار .

-الإجابة الواضحة في حكم تكرار الفاتحة .

-إمتاع النظر في حكم الجمع في المطر .

-التواضع العلمي.

المحتوى

المقدمة ٥

أجمل ترحيب ٩

نداءات ١٢

غاية وأمل ١٦

كيف لا تحن إليه الأفئدة؟! ١٨

الاسم الخالد في القلوب ٢١

يا زائر البيت الحرام ٢٦

بلد الرسول ﷺ ٢٨

الفجر الجديد ٣٠

كن منهم على حذر ٣٥

الرموز السامية والمزيفة ٣٩

دعوة للتأمل ٤٢

حراسة القلب ٤٤

سياط القلوب ٤٨

الأسرة المسلمة ٤٩
حديث خاص بالشباب ٥٠
ذكريات خالدة ٥٥
مصابيح الدجى ٥٨
عظماء الأمة ٦٠
هاجر المرأة العظيمة المباركة ٦١
التفاؤل ٦٦
اذهبوا فأنتم الطلقاء ٦٨
عواصف الانتقام ٧١
روعة الإسلام في البلد الحرام ٧٤
لنرتق ٧٥
مهمة الأجيال ٧٨
النظام ٨١
هل في بيتنا نظام؟ ٨٢
أثر المناسك في حياتنا ٨٤
أحب أن أكون مع الشعب ٨٧
ليس من التعظيم ٩٤

تعزيـة ٩٦
عظمة البيت الحرام ١٠٠
غربـة البيـت ١٠٤
أثر البيت الحرام في حياتنا ١٠٦
حسن الجوار ١١٠
هنيئا أيها المجاورون ١١٢
نعمةٌ وأُمنية ١١٤
فوات الفرص يورث الندم ١١٨
مسائل فقهية ١٢٠
عبادة ليست في بلدك ١٢٢
مفاهيم خاطئة ١٢٥
زمزم المعجزة الخالدة ١٢٦
ما أجمله ؟ ١٢٩
موكب أسرى ١٣٠
مشاهد مضيئة ومشرقة ١٣٣
العمل التطوعي ١٣٤
ساعة الرحيل ١٣٨

أخلاقيات ١٤٠
قلوب متعلقة ١٥٣
إنها مناقب فأين عاشقها ١٥٦
قدوات نسائية ١٦١
صاحبة النقاب ١٦٢
يا صاحب الفندق ١٦٥
التاجر المكي ١٦٦
رسالة المطوفين ١٦٨
جدد حياتك ١٦٩
مشاعر مودع ١٧٤
خدمة البيت شرف لنا ١٧٦
كفى وألف كفى ١٨٠
إصدارات المؤلف ١٨٦
المحتوى ١٨٩